النظام التمثيلي
في العربية رؤية وتطبيق

إعداد
أحمد فواز أحمد الزعبي

إشراف الدكتور
محمود جفال الحديد

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب، ٢٠١١

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا أحمد فواز أحمد الزعبي، أفوض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبهم حسب التعليمات النافذة في الجامعة.

التوقيع:

التاريخ:

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة (النظام التمثيلي في العربية:رؤية وتطبيق) وأجيزت بتاريخ ٤/٨/٢٠١١م

التوقيـــــــــــــــــع	أعضاء لجنة المناقشـــــــــــــة
....	الدكتور محمود جفال الحديد، أستاذ فقه اللغة العربية المشارك
....	الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة أستاذ اللغة العربية وآدابها
....	الدكتور محمد محمود بني يونس أستاذ علم النفس الفسيولوجي المشارك
....	الدكتور محمد صالح بني هاني أستاذ الإدارة التربوية المساعد (جامعة اليرموك)

الإهداء

الحمد للّه مبدد الحيرة، و الصلاة و السلام على رسوله الأمين

الى كل مسلم و مسلمة ...

والدي الذي أسأل اللّه أن يتغمده برحمته و يدخله فسيح جنانه

والدتي من أحبتني...

أهدي الطيب من هذا العمل

الباحث

أحمد الزعبي

الشكر والتقدير

أتقـــدم بالــــشكـر والتقـــدير لمــــن اشــــرف علــــى هــــذه الرســـالة د. محمـــود جفـــال الحديــــد، واللجنـــة المناقـــشة لهـــذه الرســـالة، وابن الأخت الغالي مراد الذي ساعدني في برامج البحـث علـى الحاسـب ولم يبخل في الوقت والجهد.

وكل من سهل مهمة البحث

الباحث

أحمد الزعبي

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

قرار لجنة المناقشة .... ب

الإهداء ....ج

الشكر والتقدير ....د

فهرس المحتويات ....ه

الملخص..ز

الفصل الأول: مشكلة الدراسة وأهميتها ١

المقدمة ١

مشكلة الدراسة...٢

أهمية الدراسة...٢

أهداف الدراسة...٣

الإطار النظري للدراسات السابقة......................................٣

الفصل الثاني: تعريف البرمجة اللغوية العصبية ٥

- نشأة البرمجة اللغوية العصبية ٧
- أهم علماء البرمجة اللغوية العصبية ٩
- أهمية البرمجة اللغوية العصبية ١١
- قضايا البرمجة اللغوية العصبية وموضوعاتها..........................١٢
- علاقة البرمجة اللغوية العصبية باللغة ١٣

الفصل الثالث: النظام التمثيلي ١٧

- نشأة النظام التمثيلي ١٧
- أهمية معرفة النظام التمثيلي ١٨
- وصف النظام التمثيلي ٢٠

- أنماط النظام التمثيلي ٢١
- إشارات الوصول العيني ٢٤
- علاقة النظام باللغة ٢٦

الفصل الرابع: موقف القرآن الكريم من النظام التمثيلي............... ٢٨

- إقرار النظام التمثيلي وتقديره ٢٨
- اختلاف القرآن الكريم في تسمية القسم الثالث من النظام ٣٥
- ملامح من النظام التمثيلي في الخطاب القرآني ٤٤
- الفؤاد ٥٢
- القلب ٥٥
- التعميم والحذف ٥٩

الفصل الخامس: سورة يوسف "**رؤية وفق النظام**".................. ٦١

- بين يدي السورة ٦١
- وصف النموذج ٦٣
- قراءة توافقية مع النظام ٦٧
- الخاتمة ١٢٣
- قائمة المراجع ١٢٤
- الملخص باللغة الانجليزية ١٢٧

النظام التمثيلي في العربية رؤية وتطبيق

إعداد

أحمد فواز أحمد الزعبي

المشرف

الدكتور محمود جفال الحديد

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على نظام ذات علاقة مباشرة باللغة، ونقده ليتمكن من تقديم وصفاً للغة وتقديم منهجية ثابتة لدراسة النص اللغوي، وفي تحقيق هذه الأهداف اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي؛ إذ وصفت مجمل الدراسات البرمجة اللغوية العصبية، وحددت جميع آراء المحدثين المتعلقة بالنظام التمثيلي.

وقدمت وصفاً لأركان النظام في القرآن الكريم مما جعل الدراسة تتضمن شيئاً من المقارنة في تحليل النظام التمثيلي.

توصلت الدراسة إلى إثبات نظام متكامل ذات سمة تباينية في القرآن الكريم يعرض بشكل سلس يشمل النظام التمثيلي ويوضحه، ويرتبط بأنماط أخرى نحو النفس والروح ولفظة "الطاقة"، مما يجعل منه نظاماً ملائماً لطبيعة الإنسان ينسجم مع تكوينته.

تمكن هذا النظام من تقديم قراءة للنص اللغوي لاسيما النص الروائي، وتميزت سورة يوسف في هذا المجال؛ إذ كانت ميدان التطبيق العملي للمنهجية التي توصلت لها الدراسة.

توصي الدراسة باعتماد المنهجية في دراسة الرواية ونمذجة الشخوص في الخطاب الأدبي، كما توصي الدراسة الباحثين في المستقبل بمحاولة ضبط أدبيات الـ NLP والنظام التمثيلي في المراجع الأكاديمية في علم النفس التربوي .

الفصل الأول

مشكلة الدراسة وأهميتها

مقدمة

تعد البرمجة اللغوية العصبية من أهم العلوم الجديدة التي أجابت عن كثير من التساؤلات المرتبطة بالإنسان المختص بالحياة الاجتماعية وطبيعة التواصل؛ مما شجع الباحث على الدراسة؛ إذ إن اللغة من أهم ميزات التواصل؛ لاسيما أن هذه البرمجة تناولت اللغة في كتبها، وعرضت لأنماط جديدة في طريقة النظر للفظة والنص.

وقد كثرت المراجع الحديثة المتحدثة عن هذا العلم؛ لكنها لا تشهد اختلافا جذريا يستحق الوقوف عليه طويلا في الدراسة؛ فأحدث مشكلة للباحث في كثرة القراءة مع قلة الحصول على جديد يثري الدراسة؛ إذ عدم ذكر المؤلفات للمراجع بشكل دقيق أحدث تكراراً ملحوظا فيها، والسبب في ذلك عند المؤلفين العرب؛ التفكير في نقل المعرفة مع قلة الاهتمام بالبحث، والتزامن في إصدار مؤلفاتهم الحديثة.

لكن تلاشت هذه المشكلة في الآيات القرآنية الكريمة؛ إذ أثرت الدلالات القرآنية البحث مما جعل الباحث يثبتها بإيجاز شديد يتلاءم مع عاجلة الدراسة.

تقسم الدراسة موضوعها لجزأين؛ تتحدث في الجزء الأول عن البرمجة اللغوية العصبية في ثلاثة فصول نظرية: تفرد الفصل الثاني للتعرف على البرمجة في عرض تعريفها بالوقوف على رأي أهم العلماء والباحثين المختصين، ثم ستعرض الدراسة علاقة البرمجة اللغوية العصبية باللغة ، وتقدم رؤية لأهم قضاياها وموضوعاتها .

وستقدم الدراسة في الفصل الثالث النظام التمثيلي، الذي يشكل محوراً رئيسياً لها، فتتحدث عن نشأته وأهميته، ثم تفصل أنماطه كي توضح علاقة هذا النظام باللغة من جانب وعلاقته بسائر أركان البرمجة من جانب آخر، وستحاول أن تقف على الآراء التي عرضت هذا النظام لتعتمد تعريفا أو تستحدثه.

يتميز النظام التمثيلي بالحداثة والأصالة معاً، ففي حين وصف المحدثون الغربيون النظام بتقسيم طبيعة الإنسان في التواصل إلى سمعي وبصري وحسي؛ يصف القرآن الكريم السمع والبصر والفؤاد في مواضع متعددة فيلتقي مع هذه الدراسات الحديثة في ذكر النمطية وتصنيفها، ويتميز في تفصيلها ومراعاتها في الخطاب، لذلك لن تنطلق الدراسة لتطبيق النظام التمثيلي على العربية قبل عرض

مفصل لموقف القرآن الكريم من هذا النظام؛ إذ ستبحث في الفصل الرابع من الدراسة في المنهجية بالوقوف على الآيات الكريمة المتحدثة عن النظام، ثم تنظر في ما استحدثه البحث في الآيات لتنطلق من رؤية واضحة لتطبيق المنهجية.

أما تطبيق ما توصلت إليه الدراسة- الجزء الثاني من الدراسة- وما عرضت له؛ فسوف يقدم في الفصل الخامس؛ إذ ستتناول الدراسة سورة يوسف بالبحث؛ وسوف تحاول قراءتها وفق المنهجية الجديدة.

مشكلة الدراسة

سوف تحاول الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

س١: ما هو النظام التمثيلي ؟ وما علاقته باللغة العربية ؟

س٢: هل من الممكن الكشف عن نظام يحكم النظام اللغوي ؟

س٣:هل يستطيع هذا النظام أن يقدم لنا تعريفا للغة أو يرجح تعريفا على آخر ؟

س٤:هل نستطيع الحصول على نظام لغوي ذات سمة تباينية ؟

س٥: هل نستطيع وصف نمط ثابت يميز خطاب الفرد من خلال جزء من خطاباته ؟

س٦: هل نستطيع الرقي بمستوى الخطاب وفق النظام التمثيلي ؟

س٧: بماذا يتميز القرآن الكريم عن غيره من أنواع الخطاب حسب النظام السابق ؟

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من سمة التواصل ؛ التي تشكل التقاء بين اللغة والنظام التمثيلي، مما يجعل الدراسة تبرز الجانب السلوكي للغة؛ إذ يرتبط النظام ارتباطا مباشرا مع الهوية الإنسانية في جميع اللغات ويطرد في جميع أنواع الخطاب.

تقتصر الدراسة على نقد النظام التمثيلي من خلال فحص أنماط الاتصال في الخطاب في اللغة العربية للتطلع لسمة تباينية في اللغة ترقى بالخطاب لمستوى يتلاءم مع طبيعته.كما تقرر الدراسة منهجية عملية تمكننا من تحليل الخطاب اللغوي لاسيما الروائي منه.

أهداف الدراسة:

أولاً: نقد النظام التمثيلي .

ثانياً: الوقوف على نظـــام ذي علاقـــة مباشـــرة باللغـــة، أو يمكـــن لـــه أن يـــدرس الـــسلوك اللغوي.

ثالثاً: تعريف اللغة أو ترجيح تعريف من تعريفاتها وفق النظام السابق .

رابعاً: وصف اللغة والتطلع للرقي بمستوى الخطاب .

خامساً: تفعيل النظام السابق بنماذج من العربية.

الإطار النظري للدراسات السابقة:

لقد وقف الباحث على دراستين : الأولى كتاب بعنوان : تطبيقات إسلامية على البرمجة اللغوية العصبية لنجاح السباتين، عمان، ٢٠٠٥م، وتنقسم الدراسة إلى قـــسمين:الأول منهمـــا التأثير في النفس والغير وهو الجانب النظري للدراسة، وقد عرضت للبرمجة اللغوية العصبية عرضا واسعا، والقسم الثاني يمثل الجانب التطبيقي للموضوع، وتلتقي مع هذه الدراســـة فـــي عرضها للنظام التمثيلي : فالقسم الأول يتضمن التمثيل الداخلي والاتصال بالنفس، والإيحـــاءات الايجابية للذات وقد أوردت الدراسة النظام كما هو في سائر المراجـــع ولـــم تخـــضع النظـــام للمعالجة، وإنما وصفته مرتبطا باللاوعي والإيحاءات الداخلية –لتجعل من ذلك منهجـــا لهـــا– مقسما ثلاثة أقسام : النظام البصري والنظام السمعي والنظام الحسي وجعلت الـــذوق واللمـــس والشم تابعةً للنظام الحسي، ثم تحدثت عن إشارات الوصول العينية . وأهم ما يعنينا ما تناولتـــه الدراسة عن اللغة حيث عرضت لمجموعات من الألفاظ ذات العلاقة بالنظام التمثيلي موضـــحة التأكيدات اللغوية والتطابق والاختلاف بين الأنماط التمثيلية، فاستخدمته في الإيحاءات الداخليـــة لتحفيز الذات ومعالجة النفس.

أما في الجانب التطبيقي من الدراسة فان طبيعة المنهج اقتضت أن يقتصر النظام التمثيلي على الإيحاءات الداخلية لتغيير النفس وهو من قبيل المعالجة والوعظ والإرشاد وتحفيز الـــنفس على حفظ القرآن الكريم وتسهيل الحفظ وعدم الخوف من العدو، ودللت الدراسة على ذلك عن طريق معالجة الخوف عند سيدنا موسى عليه السلام في بعض آيات القرآن الكريم .

تختلف الدراستان في الجوهر اختلافاً كبيراً، إذ تتجه الدراسة السابقة للوعظ والإرشـــاد وتختص هذه الدراسة بنمطية الحوار وسلوكيات اللغة .

والدراسة الثانية بعنوان: " لحن الخطاب في القرآن الكريم – دراسة فـــي البرمجـــة اللغويـــة العصبية"، لباهرة أيوب عبد الرحمن الشامي وهي رسالة ماجـــستير أنجزتهـــا فـــي الجامعـــة الأردنية– قسم اللغة العربية عرضت فيها للنظام التمثيلي في حديث شامل لجوانب علم البرمجة وعلاقته باللغة.

وتلتقي في ذلك مع الدراسة الحالية، إذ عرضت الباحثة لمجموعة من الألفـــاظ والآيـــات المرتبطة بهذا النظام كما تحدثت عن قصص الأنبياء والصالحين مشيرة إلى الأسلوب الـــدعوي الذي استخدم في دعوتهم لأقوامهم وقد عرضت دراستها لبعض أقوال العلماء السابقين لمقاربـــة جهودهم لتطبيق الأنظمة التمثيلية. واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي الإحصائي في دراســـتها وقد ذكرت ذلك في منهجية الدراسة فقد حاولت الباحثة أن تحصي من خلال وصـــفها للنظـــام التمثيلي الآيات القرآنية ذات العلاقة بالنظام التمثيلي.

الفصل الثاني

تعريف البرمجة اللغوية العصبية

مصطلحات البرمجة اللغوية العصبية[١]:

هي المصطلح العربي لما يطلق عليه في الانجليزيةNeuro Linguistic Programming:

البرمجة Programming: تشير إلى مقدرتنا على تنظيم هذه الأجزاء، أو برمجتها في أدمغتنا، وهي الأفكار والمشاعر والتصرفات للإنسان، حيث يمكن استبدال أخرى جديدة وإيجابية بها.

اللغوية Linguistic: هي اللغة الملفوظة وغير الملفوظة، التي تمكننا من الإتصال بالآخرين، وتكشف لنا عن الأساليب الفكرية والمعتقدات.

العصبية Neuro: تشير إلى الجهاز العصبي، الذي يتحكم في وظائف الجسم وأدائه.

قدم أهم علماء البرمجة اللغوية العصبية تعريفات للبرمجة؛ تمكننا من ملاحظة ما يميز هذه البرمجة عن غيرها من العلوم التي تدرس السلوك الإنساني على هذا النحو :

١- ريشارد باندلر Richard Bandler [٢]: موقف أو اتجاه ملئ بحب استطلاع قوي عن الإنسان بمنهجية تبدع عدداً غير محدود من التقنيات.
٢- إيان ماكدرمون ووندي جاجو Ian McDermott & Wendy Jago [٣]: هي دراسة التوافق البشري، وهي تقدم مجموعة من المعارف عن كيفية تصور الكائن البشري لما يجربه من مجارب وكيفية تفاعله مع الآخرين.
٣- كارول هاريس Carol Harris [٤]: تعريف الشخص بوضعه الحالي، والتعرف على الحالة التي يود أن يكون عليها، وتعليمه كيفية الانتقال من حالة غير مرغوب فيها إلى حالة أفضل.
٤- لويس جورج جونزالس Louis George Gonzalez [٥]: العلم الذي يرشدك إلى كيفية استخدام الموارد العصبية واللغوية لتحقيق الحياة السليمة و السعادة والامتزاج الصحيح بالآخرين والطبيعة.

---

(١) noll: // pnoTe, Madules. Php? نشرت بتاريخ (٢٠٠٦ – ١٥٠٩)، بواسطة البرمجة اللغوية العصبية.

(٢) كارول هاريس ، البرمجة اللغوية العصبية: الآن أكثر سهولة، ط١، مكتبة جرير والرياض و ٢٠٠٤ وص ٩.

(٣) ماكدرمون إيان ووندي جاجو، مدرب البرمجة اللغوية العصبية ص ٨٠، ط١، دار جرير: الرياض، ص ٩.

(٤) هاريس، البرمجة اللغوية العصبية: الآن أكثر سهولة، ص ١١.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٠.

٥- سونايت Sue Knight [١]: هي دراسة ما يجري في الفكر واللغة والسلوك، وهي طريقة لتشفير وإعادة إنتاج التفوق الذي يساعدك على تحقيق النتائج التي تريدها لنفسك ولعملك و لكل حياتك.

٦- ستيف أندرياس Steve Andreas [٢]: هي دراسة التفوق الإنساني وهي القدرة على بذل قصارى جهدك أكثر فأكثر، وهي الطريقة الجبارة التي تؤدي إلى التغير الشخصي، وهي تكنولوجيا الانجاز الجديدة.

٧- إبراهيم الفقي: هي فن وعلم الوصول بالإنسان لدرجة الامتياز البشري، والتي بها يستطيع أن يحقق أهدافه ويرفع من مستوى حياته.

٨- محمد عبد الغني حسن هلال[٣]: هي أسلوب علمي لإحداث التكامل بين طرق التفكير الإنساني والبناء اللغوي، والقوى الداخلية الوجدانية، وكيفية العمل على تحفيزها لخلق قوى دافعة تقود الإنسان بصورة دائمة نحو التغير الأفضل بحيث يصبح أكثر التزاماً وأكثر قدرة على تحمل المسؤولية، وأن يحرر نفسه من أثر قيود التفكير والثقافات السابقة غير الصالحة.

٩- مدحت محمد أبو النصر[٤]: هي علم وفن دراسة ما يحدث في السلوك واللغة سواء اللفظية أو غير اللفظية، بهدف تطوير وتحسين هذه المفردات لتحقيق التغير الإيجابي والتميز والتفوق الإنساني، بما يساعد الفرد على تحقيق النتائج المرجوة التي يريدها سواء في عمله أو في حياته.

١٠- إيمان فوزي حرب[٥]: علم يدرس طريقة التفكير في إدارة الحواس، ثم يبرمج ذلك وفق الطموحات التي يصورها الإنسان لنفسه.

١١- آلاء محمد عبيد[٦]: هو علم يقوم على اكتشاف كثير من قوانين التفاعلات والمحفزات الفكرية والشعورية والسلوكية التي تحكم تصرفات واستجابات الناس، على اختلاف أنماطهم الشخصية.

---

[١] سو نايت ، البرمجة اللغوية العصبية في العمل، ط٢ ما جرير: الرياض، ص ١.

[٢] الفقي ابراهيم، البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود،، ط١، المركز الكندي للطاقة البشرية، كندا ٢٠٠١م،ص١٨.

[٣] هلال، محمد عبد الغني حسن، البرمجة العصبية ص٨، ط١، مركز تطوير الأداء والتنيه: (٢٠٠٦)، ص ٩، مصر العربية.

[٤] مدحت أبو النصر، سلسلة المدرب العملية – البرمجة اللغوية العصبية NIP، ط١، مجموعة النيل العربية، القاهرة (٢٠٠٦)، ص ٢٢.

[٥] إيمان فوزي حرب وراعي أبو حمامة، برمجة الأجداد، دار النفائس: عمان ٢٠٠٤، ص ١٧.

[٦] عبيد آلاء محمد، البرمجة اللغوية العصبية، ط١، دار الصفاء: عمان، (٢٠٠٦)، ص ١٧.

ويلاحظ أن معظم التعريفات تركــز علــى تنميــة الشخــصية وتطويرهــا، وكيفيــة انتقال الشخص من موقف لا يرضى عنــه إلــى موقــف أفــضل، وتقــدم طرقــاً ووســائل عملية تطبيقية لتحسين الأداء، وهذا ما يميزهــا عــن بــاقي العلــوم التــي تــدرس الــسلوك الإنساني[١]، وهذا يرجح تعريف كارول هاريس.

نشأة البرمجة اللغوية العصبية:

في أواخر الخمسينيات من القرن العشرين اجتمــع بعــض العلمــاء والبــاحثين فــي مجال التنمية البشرية، بمدينة بــالوالتو بولايــة كاليفورنيــا، وأســسوا "مــشروع أبحــاث التواصل"، وقاموا بقيادة باتيــسون بدراســة وســائل التواصــل والعــلاج النفــسي والعــلاج السريع وسلوك الحيوانات، وقامت دراســات أخــرى علــى ضــوء دراســاتهم، قــادت إلــى بحوث أخرى في جامعة ستانفورد، وقد كان مركز نــشاط البرمجــة اللغويــة العــصبية فــي بادئ الأمر هو مقر الجامعة بــ" سانتا كروز" في ولاية كاليفورنيــا، وقــد صــدر فــي تلــك الآونــة كتــاب: " الأيــام العــصيبة: البرمجــة اللغويــة العــصبية ١٩٧٢ – ١٩٨١ م" لتيرانس ل. ماكليندون Terrence L. McClendon.

توسعت مجموعة ســانتكروز" بانــضمام المؤســسين المــشهورين ريتــشارد بانــدلر وجون جريندر، وقد بدأ الاثنان أبحاثهما التي تهدف إلــى اســتطلاع النمــاذج التــي تــتحكم في السلوك الإنساني. وفي عام ١٩٧٤م بدأ الاثنــان بنمذجــة بعــض النــاجحين فــي ذلــك العــصر، وأبــرزهم فرتيــز برلــز Fritz Perlz ، وفيرجينيــا ســاتير Virginia Satir ، وملتون إريكسون Milton Erckson [٢].

كان جون جرينــدر John Grinder، اســتاذاً مــساعداً فــي علــم اللغويــات فــي جامعة سانتا كروز، وقد حصل على الدكتوراه مــن جامعــة: " ســان فرانسيــسكو" وكانــت أبحاثه في اللغــة تتــضمن نظريــات " نعــوم تشومــسكي" Noam Chomsky ثــم عمــل مترجماً في الجيش الأمريكي وشارك في عمليــات ســرية، ولــه خبــرة فــي التعامــل مــع اللغة من خلال صياغة إعداد النماذج اللغوية وتعلم عدة لغات في عمله هذا.

ركز جرينــدر Grinder فــي دراســاته فــي البرمجــة علــى الناحيــة الــسلوكية اللغوية عند الإنسان وكان من أبــرز تلامذتــه: أنتــوني روبنــز Anthony Robenz فــي

---

[١] هاريس، البرمجة اللغوية العصبية، الآن أكثر سهولة، ص ١١.

[٢] المرجع نفسه، ص ٣٦.

حين ركز ريتشارد باندلر على الناحية الفكرية في دراسة البرمجة؛ إذ كان يتمتع بمهارة عالية في استيعاب الأنماط السلوكية[١].

وقد أنشأ الاثنان في عام ١٩٧٧م: " معهد التدريب والأبحاث في سانتاكروز"، وهو أول معهد للتدريب على البرمجة اللغوية العصبية، وهكذا انتشرت البرمجة في أمريكا.

وفي حين بدأت البرمجة في السبعينيات في أمريكا، كانت بريطانيا محوراً لمعظم الأنشطة والابتكارات، في هذا الميدان، فتم إنشاء " المركز البريطاني للتدريب على البرمجة اللغوية العصبية. وفي ٢٠٠٤م وجد في المملكة المتحدة ما يزيد عن خمسين مؤسسة لتأهيل المدربين[٢].

وقد كان مجال البرمجة اللغوية العصبية موجهاً في الأساس إلى شريحة محدودة، وبشكل خاص إلى المتخصصين في العلاج النفسي والعصبي ولكن بنشر كتاب هاري وبيلير Harry Alder & Beryl Heather " البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يوماً "، وكتاب سونايت Sue Knight "البرمجة اللغوية العصبية في العمل"، وكتاب تدجاريت Ted Garratt " البرمجة اللغوية العصبية مستقبل المدرب المحترف "،يمكن القول أن الستار قد رفع لكي يصبح الجمهور بشكل عام مدعوا للمشاركة في هذا المجال الحديث الذي يمنح بدرجة عالية من التقدم والإثارة[٣].

وقد قدم الدكتور إبراهيم الفقي في عام ٢٠٠١ كتاب:" البرمجية اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود"،و مجموعة من المحاضرات باللغة العربية، لينقل هذا العلم إلى العالم العربي، وتبعته مجموعة من الترجمات لانتوني روبنز Anthony Robenz وكارول هاريس Carol Harris وهاري Harry Alder وجاريت تد Ted Garratt وستيف باستر Steve Carlin Pastor وآخرون Steve Carlin Pastor، و تسارع هذا العلم في الانتشار في مصر والأردن والسعودية، مما أدى إلى ظهور مؤلفات عربية وإسلامية للزهراني ومحمد عبد الغني هلال وطعمة أماني، ومما ساعد في هذا الانتشار الوضع العام الذي يعاني منه عالمنا في شتى المجالات، و الحاجة الماسة التي يشعر بها الناس لتغير حياتهم، ويمنحهم الأمل في مستقبلهم من جديد.

---

[١] المرجع نفسه، ص ٣٧، وأيمن خلف، رحلة عبر البرمجة اللغوية العصبية، ط١، الوليد الجديدة: حمص (٢٠٠٥)، ص ١٠

[٢] هاريس، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٤١.

[٣] مدحت أبو النصر، البرمجة اللغوية العصبية NIP، ص ٢٥.

أهم علماء البرمجة اللغوية العصبية:

١. جون جريندر وريتشارد باندلر Richard Bandler & John Grinder [١]: وقد بدأ علم البرمجة اللغوية العصبية على أيديهما فهما مكتشفان ومؤسسان لهذا العلم، ولد قريندر عام١٩٣٩م، وتخرج من جامعة "USF" جامعة سان فرانسيسكو بدرجة الماجستير في الفلسفة عام ١٩٦٠م، وفي جامعة سانتا كروز التقى الدكتور ريتشارد باندلر الذي كان طالب دراسات عليا في علم النفس ومتخصص في الرياضيات وبرمجة الكومبيوتر، وكان لديه موهبة سماع وصياغة النماذج الكلامية؛ فقام بدعوة الدكتور جريندر ليشاركه في الدراسات، فانسحر جريندر بالصيغة اللغوية التي يطبقها باندلر، وبدأ الاثنان باستطلاع النماذج، ونمذجة الناجحين عام ١٩٧٤م، اشترك الاثنان ١٩٧٩م بكتاب Frogs into pringes، وفي ١٩٨٠بكتاب: NIPPI و Transformations، وفي Reframing

٢. الفريد كروز بيسكي[٢]: ولد في وارسو ١٨٧٩م ودرس الهندسة، شارك في الحرب العالمية الأولى ثم انضم لقسم المخابرات العامة في الجيش الروسي، ثم التحق بالجيش الأمريكي والجيش الكندي ليستقر في أمريكا عام ١٩٢١م، وطور نظريته عن طريق الزمن ١٩٢١م، وأصدر "الطبيعة الإنسانية للبشرية"، وأثر في تطوير البرمجة اللغوية العصبية، أسس عام ١٩٣٨م معهد علم دلالات الألفاظ العامة، وكان أحد أهداف المعهد البحث في المجال العصبي وتعليمه للآخرين. توفي ١٩٥٠م.

٣. ناعوم تشومسكي Noam Chomsky [٣]: عالم لغويات بنى أعماله على أفكار مورز بيسكي وله فضل كبير في تطوير البرمجة اللغوية العصبية و يعتبر الآن أحد أبرز الشخصيات الثورية في دنيا السياسة في أمريكا، أصدر عام ١٩٥٧م كتابه (بناء الجمل) وقد وضع هذا العلم الأساس بما يتضمنه من الأفكار المتعلقة بالبنية العميقة والسطحية للجمل، وهي من أهم جوانب البرمجة اللغوية العصبية.

---

(١) هاريس، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٤٤، وأيمن خلف، رحلة عبر البرمجة اللغوية العصبية، ص ٨.

(٢) هاريس، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٤٤، وأكوانور، جوزيف، التخطيط اللغوي العصبي، ط١، ترجمة محمد الواكد، دار علاء الدين: دمشق، ص ٣٣١.

(٣) هاريس، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٤٥.

٤. باتيسون Bateson's [1]: (١٩١٠ – ١٩٨٠) عالم إنسانيات إنجليزي انتقل إلى كاليفورنيا وابتكر الأفكار التي نمت في فرع علوم – العلاج النفسي القصير، وهو عضو مؤسس لمؤتمرات (ماسي) الرائدة حول نظريات الأنظمة في الخمسينات، واستخدمه باندلر نموذجاً.
٥. فرجينيا ساتير Virginia Satir (١٩١٦ – ١٩٨٨) [2]: بدأت معالجة نفسية في شيكاغو لمدمني الخمور والمشردين في ١٩٥١، انتقلت إلى كاليفورنيا لتلتقي مع الآخرين، وتساعد في تأسيس معهد البحث العقلي في بالوآلتو، وطورت في النماذج وعملت على جعل زبائنها يختبرون حلول مشاكلهم، مستخدمة ومطورة للأنظمة التصويرية، في ١٩٧٦م ساهمت على باندلر وجريندر في إصدار كتاب (التغير في الأسر).
٦. انتوني روبنز Anthony Robenz [3]: ساهم في التعريف بالبرمجة اللغوية العصبية، وقد اشتهر بالمهارة في تقديم العروض أمام ألاف المشاهدين، وأصدر العديد من الكتب وشرائط الكاسيت عن استخدام البرمجة اللغوية العصبية، و من أشهرها: (القوى غير المحدودة)عام ١٩٨٧م، ومن أسباب شهرته أيضاً برامجه التدريبية التي تشهد في ختامها تجربة مثيرة؛ كالسير على الفحم المشتعل، استناداً إلى مقدمة منطقية تقول: "إذا ما اكتسبوا الثقة لفعل ذلك فإنهم يستطيعون".
٧. ديفيد جروف David Grove [4]: أدار جلساته العلاجية انطلاقاً من حقيقة؛ وهي أن خبرات البشر غالباً ما تنتقل عبر الرموز في شكل كلمات وإشارات وإيحاءات وعمليات أخرى. وساعد على كيفية استخدام المجاز، عن طريق (الخريطة المعرفية) التي ابتكرها، وطور مفهوم اللغة التامة، وهي لغة محايدة تماماً لتجنب فرض رؤية المعالج على المريض، وعلى الرغم من أنه لم ينشر أعماله؛ فإن كتاب (المجاز بالعقل) الذي ألفه توم كينر وجيمس لولى مبني على منهج "ديفيد مبرون".
٨. إبراهيم الفقي: رئيس معهد التدريب الأمريكي للبرمجية اللغوية العصبية، ومؤسس المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية، من أصلٍ مصري له الفضل في نقل البرمجة اللغوية العصبية إلى الشرق الأوسط، وهو من أبرز مشاهيرها؛ ولعل السبب في ذلك: الأسلوب الساحر الذي يستخدمه في محاضراته ونقل معلوماته للآخرين. ألف العديد من الكتب نالت لقب الأفضل رواجاً منها "البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود"، وهو حائز على شهادة الدكتوراه في الميتافيزيقيا واشترك في البرامج الرئيسية للتلفزيون الأمريكي والكندي.

---

(١) هاريس، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٤٥ وأكوانور، التخطيط اللغوي العصبي، ص ٣٣٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ٤٩. وأكوانور التخطيط اللغوي العصبي ص ٣٣٦.
(٣) المرجع نفسه، ص ٦١.
(٤) المرجع نفسه،ن ص ٦٤.

أهمية البرمجة اللغوية والعصبية:

تنبع أهمية البرمجة اللغوية العصبية من أنها تمثل مدخلاً جديداً أو دراسة سريعة لمعالجة المشكلات والصعوبات التي تواجه منظمات الأعمال في إدارة مواردها البشرية واستثمارها، ولا بد لهذا التطور والتحديث في التقنيات والآلات من قدرات داخل الإنسان ترافقه في نفس المسار في النحو والتحديث، وتقدم البرمجة اللغوية العصبية استراتيجيات و إجراءات وأساليب حديثة وجديدة، تزيد من تحكم الإنسان بنفسه، و ترفع كفاءات حياته نحو تحقيق الأفضل[١].

من هنا يأتي دور البرمجة اللغوية العصبية إذ تتيح لنا التعرف إلى عناصر الشعور، والأهم من ذلك أنها تساعد على معرفة عناصر اللاشعور؛ فتعرفنا بما نفعل، وهي تتيح لنا تحقيق ما نريد؛ فأن نحصل على ما نستحق من نتائج.

وتمدنا هذه البرمجة بأدوات ومهارات نستطيع من خلالها التعرف إلى شخصية الإنسان وطريقة تفكيره، وسلوكه، وأدائه، وقيمه، وتمدنا بما يمكننا من إحداث التغير المطلوب في سلوك الإنسان وشعوره وقدرته على تحقيق الأهداف[٢]، فهي ترقى بالإنسان إلى مستوى عال من التواصل؛ وهذا يناسب الزمن الحالي الذي أصبح العالم فيه صغيراً، إذ يمكن أن تتواصل من غرفتك مع آخرين في أماكن شتى في العالم عن طريق الصوت والصورة. وهي تدعوا دوماً للنجاح والرقي للأفضل، والمجال الإيجابي فيها أوسع؛ فلا تكاد تظهر فيها خانات سلبية يمكن لنا الوقوف عليها، وربما السبب في ذلك: سمو هدفها ومراعاتها للعقائد.

ومن أهم الفوائد التي نلمسها في هذا المجال[٣]:

١. السيطرة على المشاعر السلبية وتحويلها إلى مشاعر إيجابية.
٢. التحكم في طريقة التفكير وتسخيرها كيفما نريد.
٣. معرفة كيفية الحصول على النتائج التي نريد.
٤. التأثير في الآخرين وسرعة إقناعهم.
٥. زيادة فرص التمتع بالحياة.

---

[١] هلال، البرمجة اللغوية، العصبية، ص ٦.
[٢] مدحت أبو النصر، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٣٤.
[٣] مدحت أبو نصر، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٣٥.

قضايا البرمجة اللغوية والعصبية وموضوعاتها:

إن الذي يحدد لنا القضايا التي يطرحها هذا العلم هـو الميـدان، وميـدان البرمجـة اللغوية العـصبية هـو الإنـسان؛ لـذلك فهـي متداخلـة ومبنيـة علـى بعـضها، فبـدون الافتراضات لا يمكن صوغ النماذج، وبـدون التعـرف إلـى النمـاذج وتحديـدها لا يمكـن إجراء التطور والاتصال المباشر وغير المباشر.

ويحاول الباحث تحديد أبـرز القـضايا التـي تـشكل بمجملهـا البرمجـة اللغويـة العصبية على هذا النحو:

أ. **الافتراضات:** وهي مجموعة من العبـارات الكليـة، تتـسم بالإيجـاز والوضـوح، وتمثـل أحد الملامح المميزة للبرمجة اللغوية العصبية، وهـي عبـارات قـد لا تكـون لمـستخدمي البرمجة. ويجعل الفقي الافتراضات مسلمات تشكل سلوك الشخص وقيمه، وهي[١]:

١. احترام رؤية الشخص الآخر للعالم – الخبرة لها بنيان.
٢. الخريطة ليست المنطقة.
٣. توجد نية إيجابية وراء كل سلوك.
٤. يبذل الناس أقصى ما في اسـتطاعتهم بالمـصادر المتـوافرة لـديهم – النـاس يعملـون على الوجه الأكمل.
٥. لا وجود لأشخاص مقاومين وإنما هناك رجال اتصال مستبدين برأيهم.
٦. يكمن معنى الاتصال في الاستجابة التي نتحصل عليها.
٧. الشخص الأكثر مرونة هو الذي يسيطر على الموقف.
٨. لا وجود للفشل وإنما هناك رأي محدد عن تجربة – ليس فشلاً وإنما تغذية راجعة.
٩. لكل تجربة شكلية؛ فإذا غيرت الشكلية غيرت التجربة معها.
١٠. يتم الاتصال الإنساني على مستويين الواعي واللاواعي.
١١. تجد عند جميع البشر في تاريخهم الماضي كافة المـصادر التـي يحتاجونهـا لإحـداث تغيرات إيجابية في حياتهم.
١٢. إن الجسم والعقل يؤثر كل منهما في الآخر؛ فهما يمثلان نظاماً واحداً.
١٣. إذا كان الشيء ممكناً لشخص ما، فمـن الممكـن لأي شـخص أن يـتعلم كيـف يعمـل الشيء ذاته.
١٤. إنني مسؤول عن ذهني، لذا فأنا مسؤول عن النتائج التي أصل إليها.

---

(١) هاريس، البرمجـة اللغويـة العـصبية، ص ٢٥، الفقـي، البرمجـة اللغويـة العـصبية وفـن الاتـصال اللامحدود، ص ٢٠.

ليس معنى صياغة مجموعة من المبادئ والقواعد للبرمجة اللغوية العصبية، أن تتحول إلى أساليب أو نصوص يجب تطبيقها بكل دقة، ولكنها في الواقع مجموعة من التوجيهات العلمية التي تحتاج إلى تكميلها بما لديك من أفكار وأساليب من بيئة نشاطك(١).

ب. النماذج والاستراتيجيات:

تقوم على وصف لرؤية إنسان وتحديد لنمطية تفكيره؛ عن طريق مجموعة من الخطوات المختلفة، نحو: معاينة الأهداف، والسلوك، والعقائد، والمشاعر، والبيئة... وتحديد الخطوات التي تمكن الإنسان من الانتقال من الحال السلبي إلى الحال المرغوب به؛ بنقل النموذج؛ إذ يمكن نقل هذه النماذج من الشخص المثال لآخر ليتمكن من الوصول إلى نتائج مرغوب فيها، فهي تعاين المشكلة وتقدم الحل، وأشهرها نموذج ملتون والماوراء.

ج. الاتصال:

وهو إما الاتصال بالذات أو الاتصال بالآخر، ويعتمد على الفهم الدقيق للعقل الواعي و الغير واعي، وحواس الإنسان، وتعد اللغة محوراً أساسياً لفهم تقنية الإتصال وتحسينها من خلال النظام التمثيلي والرابط، كما سيأتي لاحقاً، فهو الأساس الذي تقوم عليه هذه الدراسة.

علاقة البرمجة اللغوية العصبية باللغة:

إن الارتباط أساسي بين اللغة والبرمجة اللغوية العصبية، إذ لا يقوم أحدهما دون الآخر، وقد ظهر ذلك من خلال التعريف بالبرمجة اللغوية العصبية، و من خلال اللغة المنطوقة يتحدث كارول هاريس عن مجالات استخدام اللغة للتواصل والتأثير، ذاكراً بعضها: كالقدرة على استخدام العبارات المحددة وغير المحددة بما يتناسب مع نتائج معينة، ويخصص لها مجالاً واسعاً من كتابه . و قد عرضت الدراسة إلى علماء البرمجة، الذين كان أكثرهم من المتخصصين في اللغة، و لعل أبرزهم تشومسكي، الذي تحدث عن الأفكار المتعلقة بالبنية العميقة والسطحية للجمل، وهي تعتبر من أهم جوانب هذا العلم(٢).

---

(١) هلال، البرمجة اللغوية العصبية، ص ١٣.

(٢) هاريس، البرمجة في اللغوية العصبية، ص ١٦، ص ٤٥.

ويفرد أكوانور الفصل التاسع من كتابه، للحديث عن (الشطب، والتعميم، والتحريف) في اللغة، ومن مجمل كلامه يتبين أن اللغة تعطينا حرية كبيرة ضمن حدود معينة؛ إذ أنها لا تحدد بالضرورة أفكارنا فحسب، ولكنها تحدد تعبيرها للآخرين، وهذا بإمكانه أن يؤدي إلى سوء التفاهم بطريقتين: الكلمات التي نستعملها قد تكون قاصرةً عن وصف أفكارنا، ثانياً: قد لا يؤدي الآخرون المعنى نفسه للكلمات التي نؤديها نحن، وذلك لأنهم يعيشون حياة وتجارب مختلفة. قد تكون اللغة مشتركة، ولكن المعنى يختلف باختلاف الأفراد، والكلمات أنفسها قد تؤدي دلالات مختلفة لكل منا.

لكل لغة خصوصيتها في التعبير، وهي ليست حقيقة دائماً بقدر حقيقة التجربة، فالكلمات ليست التجربة الحسية، وإنما هي الأداة الأولية للتواصل إذا تم استعمالها بشكل صحيح، لكن الكلمات المشوشة تقود إلى سوء الفهم بين الناس على نحو الخطأ في التعبير أو الخطأ في الفهم، والتجاوز عن بعض الأجزاء ظناً منا أن الآخر يدرك هذا التجاوز، وقد تزيد الكلمات فنفرط في التعبير مما قد يؤدي إلى الفهم الخاطئ كذلك، وهذا من أهم تقنيات الاتصال[1].

ولا يكاد يخلو جانب من جوانب NLP ولا مؤلف، إلا وللغة جوهريتها فيه:

الافتراضات:

إنها عبارات مصوغة بشكل متميز واضح موجز، وهي تدل على خلفية متمرسة باللغة وارتباطاتها. وتوجد في مرحلة من مراحل البرمجة اللغوية العصبية دعوة لاختيار الألفاظ والعبارات القصيرة المعبرة عن الأشياء المهمة بالنسبة الينا، وهي هامة لحسن التعبير و الفهم، كما انها تمنحنا كيفية برمجة العبارات و الفرضيات والرسائل بطريقة التكرار، و استخدام اللغة المباشرة، والاسترخاء، واستخدام ما يدل على التميز والإبداع نحو: " رائع مبدع متميز ناجح... [2].

النماذج:

عند صياغة النموذج لا بد من ملاحظة اللغة، فهي أداة لكشف التغيير بتحديد الكليات والشموليات، ونستدل على ذلك بالألفاظ والعبارات، وتعتبر الكليات نمطاً من أنماط التعميم، وتوجد في الكلمات مثل " دائماً، أبداً... " و العبارات: "كل واحد، كل شخص، لا أحد..." وتكون عند نموذج "ميتا" كما يلي: " لن أكون قادراً على عمل

---

[1] أكوانور، التخطيط اللغوية العصبي، الفصل التاسع، ص ١٦٨.
[2] التفصيل في كتاب: آلاء عبيد، البرمجة اللغوية العصبية، ص ١٣٣.

ذلك، وكل شخص يسخر مني، و في كل زمان ومكان"، ومن الممكن تقسيمها إلى المفردات اللغوية النفسية، والمفردات اللغوية النفسية المتعلقة بالضرورة نحو: "يجب أن أذهب الآن"[١].

يطرح كارول هاريس مثلاً عن نموذج ملتون ونموذج الماوراء[٢] بهذا الحوار الذي جرى في عيادة أحد الأطباء:

الطبيب: ما المشكلة؟

المريض: إنني أشعر ببعض التوعك، فأنا أعاني دوماً من آلام وأوجاع، ولست في حالة طيبة.

الطبيب: ما المشكلة؟

المريض: إنني أعاني من ألم في معدتي، وصداع في رأسي منذ يومين، وإنني أشعر بالغثيان منذ استيقظت في الصباح.

إن الوصف في المحادثة الأولى يتبع لغة نموذج " ملتون"، فهو وصف غير محدد، ويدل على ذلك بعض المفردات مثل " بعض التوعك" و"لست في حالة طيبة " و"آلام وأوجاع" أما الثاني فهو يمثل الماوراء فهو وصف أكثر تحديداً، و يزيد الأمور وضوحاً للشخص الآخر.

الاتصال:

تبرز مكنونات اللغة عند الحديث عن الاتصال بالذات من خلال الرسائل الموجهة، وحذف الرسائل السلبية، والتعرض للقواعد التي يجب مراعاتها في تلك الرسائل، وكيفية فهم الآخرين من خلالها.

وهناك خمس قواعد يجب أن تتبع؛ من أجل برمجة العقل الباطن وحذف العبارات السلبية للوصول الى نتائج إيجابية[٣].

١. يجب أن تكون الرسالة واضحة محددة وهي مضمون حياتك وهدفك.
٢. يجب أن تكون إيجابية.
٣. يجب أن تحمل الرسالة دلالة على الوقت الحاضر.
٤. يجب أن يصاحب رسالتك إحساس قوي بمضمونها؛ حتى يقبلها العقل الباطن ويبرمجها.
٥. يجب أن تكرر الرسالة عدة مرات إلى أن ترسخ تماماً.

---

(١) أكوانور، التخطيط اللغوي العصبي، ص ١٩١.
(٢) هاريس، البرمجة اللغوية العصبية، ص ١٥١.
(٣) آلاء عبيد، البرمجة اللغوية العصبية، ص ٢٤٠.

ويتوسع الفقي فيها جاعلا تلك الخطوات تحمل اسم تكوين الرابط، ويركز على إيجابية الرسالة؛ ويضيف لها الحديث الذي يختاره الشخص، ويعلق على العبارة السالبة – المنفية – أنها تثبت كما الموجبة، وتبقى ببنيتها العميقة في الذهن.

والحواس من جوانب الاتصال اللغوي بالذات والآخر، ومن أهم ما يتسم به هذا الجانب فهم وتحسين تقنية الاتصال عن طريق النظام التمثيلي الذي ستتناوله الدراسة بالبحث.

الفصل الثالث

النظام التمثيلي

نشأة النظام التمثيلي

إن الحديث عن نشأة خاصـــة بالنظـــام التمثيلـــي لـــم يتـــوفر فـــي دراســـات البرمجـــة اللغوية العصبية؛ وإنما وردت إشارات في ســـياق ســـرد نـــشأة علـــم البرمجـــة ، وإشـــارات الوصول العينية ، وقد وقفت الدراسة على ثلاثة اراء من الـــسهل التوفيـــق بينهـــا؛ وهـــي أن النظام التمثيلي قد نشأ من خـــلال نـــشأة البرمجـــة اللغويـــة العـــصبية وتطـــور معهـــا؛وقف كارول هاريس والزهراني على أن هنـــاك أصـــولا قديمـــة جـــداً عـــن الأنمـــاط الشخـــصية وتعليم الطفل، يعود لها النظام التمثيلـــي، وهـــذا يتفـــق مـــع آخـــرين مـــنهم مـــازن محمـــود الحسين في مقابلة معه في ٢٠١٠/١/١ ، فقال: لقد زار جلنـــدر وبانـــدلر الأمـــازون والتقيـــا قبائل معزولة ، واطلعا على طبيب القبيلة وســـاحرها، فوجـــدا أن كلامـــه علـــى الأفـــراد ذو تأثير عظيم ، إذ لو وعد الساحر بموت أحدهم لمات خلال أيـــام حتمـــاً ،و قـــد أثـــارت هـــذه الملاحظات وأمثالها تفكير كل منهما زمناً طويلاً.

وذات مساء قال أحدهما للأخر:" لقد فكفكنا الـــسحر، وعرفنـــا كيـــف يعمـــل الـــسحر على عقل الإنسان؟ وكيف يمكن تكوينه وتجزئتـــه بـــشكل علمـــي ومنطقـــي؟"، وكـــان ذلـــك بداية استخدام الكلام لإحداث تغييرات كبيرة علـــى الإنـــسان، فهـــو الـــسحر ولكـــن بطريقـــة عقلية وعلمية، و بمعنى آخر: إنه السحر باستخدام اللغة التـــي تعيـــد تـــشكيل العقـــل ، وهـــذا ما دفعهما لكتابة سفرهما عن السحر ، الذي أصبح أساسا للبرمجة اللغوية العصبية.

وهذا يتفق مع الزهراني في قوله: (أثناء عمل باندلر وجلندر المشترك ، أسسا جمعيـــة البرمجة اللغوية العصبية ثم قاما بإنشاء شركة نشر أسموها "ميتا" ، ومـــن أول الكتـــب التـــي نشرت؛ كتابهما "بنية السحر"؛ ويقصد به سحر اللغة[١]).

وأضاف كارول هاريس إشارة إلى أبحاث أجرتها القوات الجوية الأمريكية والمخابرات المركزية حول "اللغة و النماذج ودراسة حركة العين ودلالاته"[٢]، وهذا هو الرأي الثالث الـــذي تبناه بعض أعلام البرمجة في قولهم: "كان يعد سراً لجهة معينة".

كما وأشار هاريس إلى بعض الأعلام الـــذين عملـــوا فـــي وزارة الـــدفاع الأمريكيـــة والقوات الجوية والمخابرات ممن أسهموا في نشر هـــذا العلـــم وتطويره،أمثـــال: وايـــت وود

---

[١] الزهراني، البرمجة اللغوية العصبي، ص ٢٨.
[٢] كارول هاربين، ص ٣٥.

اسمول ، والفرد كورزبسكي الذي خدم في الحرب العالمية الأولى،ولحق بقسم المخابرات بالجيش الثاني الروسي ، ثم التحق في الخدمة العسكرية بالجيش الأمريكي والكندي ، وبعدها خصص معهداً للبحث في المجال اللغوي العصبي. [١]

وبعد بعض المقابلات التي أجريتها مع أرباب مراكز البرمجة اللغوية العصبية في الأردن أضافوا؛ أن المحاضرات والدورات التي كانت تعقدها مراكز التميز في أوروبا وأمريكا باهظة الثمن ، مما جعلها قاصرة على طبقة خاصة من الناس.

ولا تعارض بين وجود بدايات قديمة:- لا سيما أن العلوم الإنسانية من أكثر العلوم التي حازت على عناية في العصور السابقة، وربما فاقت هذا العصر كما فاقها في التكنولوجيا الحديثة، ومن بعدها كان سراً لجهة معينة ثم انتقل لطبقة خاصة من الناس، واستطاعت البرمجة أن تملأ جزءاً من النقص الروحاني في مجتمع رأسمالي مالي؛ محاولة أن تحدث توازناً مع الاكتمال المادي. فأجاب عن الكثير من الأسئلة الخاصة بالكيف.

أهمية معرفة النظام التمثيلي

عند انطلاق ثلاثة أشخاص من أنماط مختلفة (بصري ، سمعي ، حسي) إلى أحد المطاعم، لتناول وجبة عشاء.

كيف سيفكر هؤلاء قبل الوصول للمطعم ؟ وبماذا سيهتم كل منهم ؟ وكيف سيذكرون هذه الجلسة ؟ سيكون اهتمامهم على هذا النمط:

- البصري: الإضاءة، الألوان المختلفة، ألوان الإضاءة، الديكور، صورة الأطعمة والأشربة ،منظر الجلسة ، وشكل الحوار...
- السمعي: الموسيقى، صوت الأطباق والملاعق، أصوات الناس والسيارات، الهدوء، الكلام الذي سوف يتداولونه...
- الحسي: رائحة الطعام ، مذاقه، الإحساس براحة المقاعد والراحة العامة والدخان وربما مذاقه، الامتلاء والإحساس بالسعادة...

وسيصف كل منهم ما اهتم به عند التذكر، وربما دار نقاش حول أجمل شيء في المطعم، فنجد السمعي يصر أن الموسيقى هي ما جعل الجلسة رائعة، والبصري: الإضاءة والديكور، والحسي: راحة المقاعد ومذاق الطعام.

---

[١] مرجع سابق.

إن هذه التخيلات والاهتمامات والتذكر بالطريقة السابقة، تصاحب جميع الناس في شتى مجالات الحياة بشكل نسبي ومتفاوت. فيمكن وصف هوية الإنسان – نمط تفكيره– ومميزاته إذا تم دراسة نظامه التمثيلي، ووصفه بشكل دقيق.

فالنظام ذا أهمية كبيرة وقيمة سامية ، لدى الفرد والجماعة، تنبع من طبيعة العلم الذي كشف الستار عنه، ومن طبيعة اللغة والهدف من وجودها، لا سيما أن أساليب الاتصال تحددت في هذا الزمان ، وأخذت أشكالاً جديدة مختلفة عن الشكل المألوف ، فأصبح للصوت والصورة المكانة الأهم بين أنماط الاتصال.

والذي يقف على النظام التمثيلي يتمتع بقدرة عالية على الاتصال، من حيث فهم وجهة نظر الآخر، والقدرة على إيصال المعلومة، فمعرفة النظام له قدرة على مقاربة وجهات النظر، ولا يقتصر على ذلك وإنما يتعدى نحو التأثير.

فعند معرفة الإنسان بنمط الآخر السائد، يستطيع إدراك الكلمات المؤثرة فيه ، وما هي الكلمات المقنعة له، وكذلك المجموعة؛ إذ تستخدم الإعلانات عن طريق رسائل الصوت والصورة هذا النظام، للوصول إلى اكبر قدر ممكن من التأثر ، وكذلك يمكن النظام التمثيلي المرسل من التأثير بالرأي العام بشكل مباشر في شتى المجالات. وهو يسرع من عملية الهدم والبناء لفكر الفرد والمجموعة ويساهم فيها مساهمة مباشرة.

والذي تعلم تقنيات النظام يدرك أنه قام بتنمية قدرته وتقنياته في فهم الآخر، وأثرى سبله في الحوار ومهاراته المتنوعة. والنص لا يختلف عن الإنسان، إذ تظهر لمسة عامة تحدد نمطية الكاتب وأسلوبه؛ مما يعطي هوية خاصة لنصوص المؤلف، وهذا يثير سؤالاً هاماً: هل مستقبل النظام التمثيلي له القدرة على الكشف عن نسب النص لصاحبه ؟

وصف النظام التمثيلي

لقد وقفت الدراسة على جميع التعريفات الخاصة بالنظام التمثيلي كما يلي:

تعريف ستيف بافستر وأماندا فيكرز Amanda Vickers & Steve Carlin Pastor[١]: تشفير داخلي يعتمد على الحواس الخمس.

١- تعريف كارول هاريس Carol Harris[٢]: الاستخدامات المتخيلة للحواس الخمس.

٢- تعريف إبراهيم الفقي[٣]: الكيفيات الحسية،و البصرية، والسمعية،والحركية،والشمية، والذوقية :تمثيلية؛ لأنه من خلالها يقوم الفعل البشري بالتعبير عن الذكريات والأفراد.

٣- تعريف الزهراني[٤]: استخدام الحواس في التفكير.

٤- تعريف أيمن خلف[٥]: هي الطريقة التي يتم من خلالها استقبال المدركات بواسطة الحواس الخمس وتخزينها واسترجاعها.

٥- مذكرة (١) NLPNOTE[٦]: تمثيل المعلومات باستخدام الحواس من العالم الخارجي، ويوجد في داخل الجسم مستقبلات حسية تقوم باستقبال المعلومة وتخزينها ، وتستدعى بنفس الطريقة التي خزنت بها.

٦- مذكرة (٢) NLPNOTE[٧]: الجزء الذي يستطيع العقل الواعي إدراكه من المعلومات المخزنة ، ولكل شخص نظامه التمثيلي الخاص به.

وبدراسة التعريفات الآنفة الذكر؛ يتضح أن مجملها يركز على ثلاثة جوانب:" المعلومة – مدخلات ومخرجات –"، و"الحواس –أجهزة استقبال – "، و"العقل –واعي وغير واع"، وقد اتفقت في الجانب الأول والثاني، واختلفت في الجانب الأخير.

أطلقت البرمجة اللغوية العصبية اسم الأنظمة التمثيلية نسبة للتمثيل الداخلي الذي يمثل الخارطة الذهنية للعالم الحقيقي؛ فإن الإنسان يستقبل المعلومات بواسطة الحواس، وتنقل الأعصاب هذه المعلومات إلى الدماغ الذي يقوم بتخزينها، وعندما يستحضرها

---

(١) ستيف بافستر وأماندات فكيرز، علم نفسك البرمجة اللغوية العصبية، ص٢٩٥.

(٢) كارول هاربيس، ص٢٠٦.

(٣) الفقي، البرمجة اللغوية العصبية، ص ١٨٠.

(٤) الزهراني، ص ١٧٣.

(٥) يمن خلف، رحلة عبر البرمجة اللغوية العصبية، ص ٢٢٨.

(٦) مذكرة رقم ٤٦، البرمجة اللغوية العصبية www.nlpnote.com، الخميس ٣/٧/ ١٤٢٤ هجري.

(٧) مرجع سابق، www.nlpnote.com/modules. Php?name

الإنسان أو يعبر عنها، فإنه لا يعبر عن العالم الحقيقي، وإنما يعبر عن التمثيل القائم في داخلة للحقيقة، ويتضح دور اللاوعي عند الإنسان في قدرته على استحضار الصورة والصوت والحس ، وعندما تطلب منه التعبير فإنه يفصل (دلالة الوعي).

ويلجأ الإنسان عند التعبير أو الاستحضار إلى الصور والأصوات والأحاسيس التي ترتبط بحواسه التي دخلت المعلومات من خلالها، ولكن التعبير يتفاوت من شخص لآخر حسب تركيزه على حاسة أكثر من أخرى، وربما يصف الصوت صفة الشكل وهي صفة للصورة، أو بالمذاق وهي صفة حسية، أو العكس، وهذا يمثل تفاوت الأشخاص في استخدام أنظمتهم التمثيلية، وما دام الإنسان يستطيع أن يستحضر الصورة والصوت كما لو كان حاضراً؛ فإن جانب اللاوعي له دوره الفاعل في هذا الاستحضار.

يمكننا ان نضع التعريف الاتي للنظام التمثيلي : "**نمطية تفكير الإنسان عند الاتصال**".

- توضيح التعريف:

نمطية: الأسلوب الذي يعتمد عليه، و يستحيل قيامه دون استخدام الحواس ، إذ لا يمكن قيام معنى دون صورة أو صوت أو حس.

تفكير: وهو الجانب الواعي واللاواعي في الدماغ.

الإنسان: يتميز عن المخلوقات الأخرى بالإدراك والتميز (التكليف).

الاتصال: يقوم بالاتصال بالذات أو الآخر ويشمل الاستقبال والإرسال ، وبه تتضح الفروق الفردية بين الناس.

أنماط النظام التمثيلي

لقد قدمت البرمجة اللغوية العصبية النظام التمثيلي من خلال وصف الشخصيات، وطريقة التفكير، واللغة، والأسلوب –السلوك- وقسمته إلى ثلاثة أقسام:- بصري، وسمعي، وحسي؛ فلاحظت الجوارح والأجهزة المختصة بكل قسم ، ثم جعلت الشم والذوق واللمس والحس من النظام الحسي، وهذه الأنظمة تختلف من شخص لآخر وتختلف نسب استخدامها عند نفس الشخص، وتتوافر عند جميع الأشخاص إذ لا يفتقر أي إنسان إلى نظام افتقارا كاملا، وإنما يغلب عليه نظام من هذه الأنظمة، فيكون هو نظامه السائد.

النمط البصري:

هو الإدراك الناتج عن الرؤية في الصورة المشاهدة ، أو المتذكرة أو المتخيلة المنشأة ، باستخدام حاسة البصر[١].

ويميل صاحبها إلى تخزين المعلومات واسترجاعها بصرياً ، فهو يركز على الرؤية. والبصرهو الأكثر استخداما لنقل ما يحدث في العالم الخارجي إلى داخلنا ، ونسبة الأفراد الذين يستخدمون هذا النظام تزيد عن خمسة وأربعين بالمئة، وهم يعتمدون كثيراً على الخيال إذ ينظرالبصري لوضعه في قضية ما ومدى تناسب هذا الوضع مع متطلباته على شكل صورة شمولية متخيلة.

صفات الشخص ذو النظام البصري[٢]:

- يتحدث بسرعة وبصوت عال ، لأنه يريد مواكبة الصورة التي في ذهنه.
- يأخذ أنفاسا قصيرة وسريعة ويتميز بالنشاط والحيوية.
- يقع جل اهتمامه على الصورة والمناظر، وتكون قراراته نابعة من تخيله للأحداث، فهو يضع المعطيات على شكل صورة.
- له قدرة على تخيل العواقب والنتائج.
- يعتمد على الحركة لدعم أقواله.
- الكلمات تسبق المعاني ، وربما يعبر بكلمات أقل ملاءمة عما يريد.

وصاحب هذا النمط يركز على الصورة ، ثم يقوم بتخزينها مع مجموعة من الروابط، ويستدعي هذه الصورة عندما تحثه ذاكرته؛ لتكون هي الرمز الدال على الموقف؛ نحو الصورة التي تنشأ في الذهن عندما تقول باريس؛ فالمتخيل عند صاحب هذا النمط برج إيفل مثلا، ولندن رابطها صورة الساعة في الذهن، وكذلك مصر الأهرامات. وقد تكون الصورة دالة على عصر من العصور لتشكل في جميع القطاعات روابط حاضرة في ذهن الشخص لتلك القطاعات (المعلومات). وقد ينشئ العقل صورة مستحدثة خاصة-منشأة- وهذا يكثر في المجال الابداعي، وكل شئ لم يشاهد يوجد له صورة خاصة في ذهن صاحبه فآدم له صورة خاصة في الذهن وكذلك مشاهد القيامة وغيرها.

---

(١) www.NLPNOTE.com، البرمجة اللغوية العصبية.

(٢) ستيف بافستر وأماندا فيكرز، ص ٤٨، الفقي، ٩٢. هلال محمد، ص ٩٨. www.NLPNOTE.com ومراجع أخرى.

النمط السمعي:

هو الإدراك الناتج عن طريق السمع والكلام، وهو في مسموع أو متذكر أو منشأ بطريقة جديدة لم يسبق سماعها[١]. يميل صاحبه إلى استقبال المعلومة وتخزينها واسترجاعها سمعياً. ويستخدم هذا النمط خمسة وثلاثون بالمئة من الإفراد تقريبا.

صفات الشخص ذي النظام السمعي [٢]:

- يستخدم طبقات متنوعة في حديثه، ويتنفس بطريقة مريحة.
- يتميز بالإنصات للآخرين دون المقاطعة وينتقي كلماته بدقة.
- يعطي اهتماما للأصوات من خلال تجاربه وما يمر به من الأحداث.
- يوجه قدراته على أساس السمع، و يعتمد عليه في تحليل المواقف كأن يمرر الكلام على قلبه.
- لديه قدرة على تحويل رؤية البصر إلى واقع منطقي، وهو قليل المجازفة.

يركز صاحب هذا النمط على الصوت الذي يسمعه ثم يقوم بتخزينه مع مجموعة من الروابط، ويكون الصوت نفسه رابط و كذلك الكلمات، فإذا ما أراد أن يتذكر يذكر حديث الشخص وكلامه؛ فيتذكر صوته، ويكون الصوت مرتبطا بالأحداث، كما يكون رابطا لها، والرموز المنشأة في الذهن رموز صوتيه، فعندما يذكر آدم عليه السلام ينشيء له صوتا ويذكر كلمات آدم عليه السلام. وإذا ما ذكرت له عصرا من العصور ينشئ أصواتا خاصة؛ كأن يسمع حداء الإبل و لم يسبق له ذلك، و أصوات الرعاة والناس عند الرحيل فتكون هذه الأصوات دلالات على العهد الجاهلي، كما يذكر الأشعار وفصاحة العرب معتمدا على الصوت، وإذا ما قلت له: باريس؛ فإنه يسمع أصواتاً من لغة قد لا يعرفها، وموسيقى مرتبطة بها. فنظامه السائد سمعي وهو يغلب على النظام البصري والحسي.

---

[١] http//nlp.com modules.php. مذكرة في ١٥/ ٩/ ٢٠٠٦ م بواسطة البرمجة اللغوية.

[٢] ستيف بافستر وأماندا فيكرز، ص ٤٨ الفقي ص ٩٢. هلال محمد ص ٩٨. www.NLP.com.

النمط الحسي:

هو الإدراك الناتج عن الإحساس الحقيقي، المتخيل باستخدام حاسة اللمس أو المشاعر. فيميل صاحبه إلى تخزين المعلومات واسترجاعها حسياً.

يركز أصحابه على الحس ، ويعتمدون عليه ، وهو ليس مجرداً وإنما جعله علماء البرمجة اللغوية العصبية إناء الشم واللمس والذوق والحدس ونسبة النمط الحسي بين الأفراد لا تتعدى العشرين بالمئة تقريبا.

صفات الشخص ذي النظام الحسي[١].

- هادئ يتنفس ببطء وعمق وصوته منخفض.
- يهتم بالمشاعر والأحاسيس أكثر من الأصوات والصور .
- يتخذ قراراته معتمداً على أحاسيسه ويتفاعل مع الأحداث.
- يريد عملا لا تنظيراً فهو يبتعد عن التخيلات والنظريات.
- متنوع فهو قاس ورقيق – محب ومبغض[٢].

و يركز صاحب هذا النمط على العواطف والأحاسيس ، فإذا ما أراد تذكر شخصٍ فإن دلالته الحرارة أو البرودة، أو القسوة والحدة، أو يتذكر المناسبة العاطفية التي جمعتهما، أو طبيعة الجو في ذالك الوقت، فهو ينشئ أحاسيس لتكون روابط ورموزا دالة على المعلومات، فالعصر الجاهلي يعني له قسوة الحياة وألم الفراق،وحرارة الصحراء، يشعر بالمحب وما يعانيه، وربما أحس بخشونة السرج وطعم الماء و مذاق الصيد، ولا يشترط معرفته بهذه الأحاسيس؛ لكن لديه قدرة على إنشاء الحس .

ويتنقل الإنسان بين الأنظمة التمثيلية، من خلال تأثيرات خارجية أو تأثيرات لتجارب شخصيه، وتتضافر هذه الأنظمة بطريقة تلقائية، ليقدم عملا إبداعيا ذا تأثير عال، ويكثر التضافر عند الأدباء والشعراء وفي بعض الإعلانات.

إشارات الوصول العينية

ترسل العين إشاراتها إلى الدماغ عن طريق العصبي البصري لتميز المرء، فهي تتفاعل مع تفكير الإنسان، كما تستجيب للتفاعلات الداخلية للدماغ . وقد اتضح أن هناك أنماطا محدده لحركه العين حسب تفاعلها مع نمطيه التفكير الداخلي للفرد.

---

(١) www.Nlpnote.com / مذكرة (٠٨١)، سنة ٩/٦/ ١٤٢٤ هـ. بواسطة البرمجة اللغوية الوجيه.

(٢). ستيف بافقر وأمان فيكرز، الفقي ص ٩٣، هلال محمد ص ٩٩، www.wlp.com

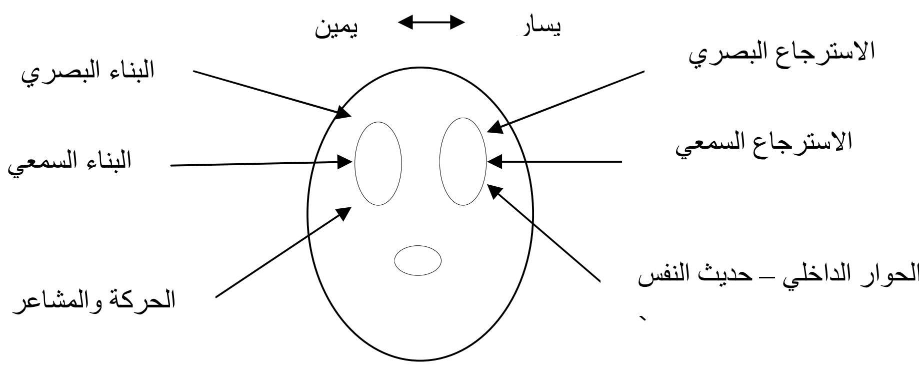
ومن أنماط حركتها: اتجاهها نحو الأعلى عند استحضار صورة بصرية، ونحو الجانبين عند التفكير بنمط سمعي، ونحو الأسفل للمشاعر والأحاسيس[١].

وقد تم تحديد ما هو أدق من هذا، حيث تتجه العين للأعلى نحو اليسار عندما تكون الصورة في الذاكرة، وعند إنشاء الصورة فإن العين تتجه للأعلى نحو اليمين، وأما في ما يخص الصوت فإن اتجاه العين جانبا نحو اليسار؛ دلالة على صوت في الذاكرة واتجاهها جانبا نحو اليمين؛ دلالة على صوت إنشائي أو للتعبير عن المعنى .

وكذلك الحال مع النمط الحسي فان العين تتجه للأسفل جهة اليسار عند محاوله الوصول للصوت الداخلي _ حديث النفس بمشاعر _ وللأسفل جهة اليمين عندما يكون هناك ربط مع المشاعر والأحاسيس الحركية؛ نحو: محاوله اللمس[٢].

وتتجه العين للأمام للتعامل مع المعلومات بمجرد الوصول لها، ويختص بالخيال أكثر من غيره. على هذا النحو:

اتجاه البؤبؤ



[١] ستيف بافستير وأماندا فيكرز، ص٤٣ – ٤٥. الفقي ص ٩٢ – ٩٣. هلال محمد، ص ٩٥ – ٩٧. الزهراني، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ وجل مؤلفات البرمجة اللغوية العصبية.

[٢] انتوني روبن، قدرات غير محدود ج١، مكتبة جرير، الرياض ٢٠٠٤ م، ص ١٧٩ – ١٨٠.

علاقة النظام التمثيلي باللغة

(إن أصناف الدلالات على المعاني، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال). [١]

يركز النظام التمثيلي على اللغة تركيزا مباشرا، من خلال المعنى العام (صورة، صوت، حس)،والمعنى الخاص؛ وهو الرابط الذي يقوم في كل فرد ويميزه عن الآخر،، ولم يتجاهل النظام الألفاظ والعبارات؛ كونها تدل دلالة مباشرة عليه وسماها التأكيدات اللغوية، وقد اعتمد عليها في كيفية بناء الفكرة وهدمها (إلغاء الرابط وخلقه).

وصنفت الألفاظ والعبارات للدلالة على الأنماط على هذا النحو:

النمط البصري:

صورة عقلية، أو تخيلية، واضح، مشوق، البؤرة أو المرتكز، متوهج، عين، نظره.

الألوان، بصيرة، ضبابي، حيوي، ومضة، فارغ، شفاف، يعكس، نافذ، وكذلك الأفعال: يرى، يشاهد، يظهر، فجر، يتصور، يومض.

والعبارات التي يستخدمها صاحب هذا النمط على هذا النحو: أرى ما تقول، ألق نظرة، وضح الصورة، أعرف تمام المعرفة أن هذا صحيح، إن تصوري للحياة هنا تصور مشرق. [٢] فهذه العبارات تدل على النمط البصري.

النمط السمعي:

سمع، إنصات،صوت، معزوفة، موسيقى، يتناغم، جرس، صمت، مسموع، رنان، أصم، معسول، تنافر، سؤال، حوار، كلام، الفكر، ثرثار، يسهل سماعه، يعبر بوضوح، دعوة إلى، وصف بتفصيل، رسالة، لسان، حديث عن، متحدث باسم، صوت عالي، طريقة الكلام، اسمع ما تقول، إن هذا ليس مألوفا بالفعل، الحياة انسجام تام.[٣] فهذه العبارات تدل على النمط السمعي.

---

(١) البيان والتبيين: الجاحظ، ج١، ص ٥٧.

(٢) تدجارايت، ص ١٢٥. ستيف بافستير وأماندا فيكر، ص ٣٩. الفقي ص ١٠١.www. nlpnote.com

(٣) المراجع السابقة نفسها.

النمط الحسي:

يتذوق، رائحة، يشم، حلاوة، طراوة، ناعم الملمس، اشعر، الم، معالجة، قسوة، خشن، حاد، عنيف، لطيف، حنون، الست متأكداً أنني اتبعك، إحساسي بهذه المسالة، خوفا من، قلبي دلني أتبع هوى نفسي، أحب كذا..أكره.... [١] فهذه العبارات تدل على النمط الحسي.

وتتضافر الأنظمة لتقدم نمطا من سحر البيان وتتنوع في النص بدلالات شتى لتقدم شيئا يتميز عن الكلام العام ويفوقه في المستوى نحو قول السياب: [٢]

الريح تلهث بالهجيرة، كالجثام، على الأصيل
وعلى القلوع تظل تُطوى أو تُنَشَّرُ للرحيل
زحم الخليج بهن مكتدحون جوّابو بحار
من كلِّ حافٍ نصف عاري.
وعلى الرمال، على الخليج
جلس الغريبُ، يُسَرِّح البَصَر المحيّر في الخليج
ويهدُّ أعمدة الضياء بما يصعِّد من نشيج
أعلى من العباب يهدر رغوه ومن الضجيج
صوتٌ تفجَّر في قرارةِ نفسي الثكلى:عراق،

ويتضح التضافر في المقطوعة عامة، كما تختص العبارة : "يهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج" بملاءمة لجميع الأنماط؛ مما يسهل وصول الرسالة للمتلقي بقالبها العام برغم التعقيد في الصورة الملموسة، كما تخلق ارتباطات في الانماط الثلاثة عند المتلقي تقربه من طبيعة الرسالة وفضائها. إذ يتمكن البصري من الصورة في "أعمدة الضياء"، و السمعي من الصوت في "يصعد من نشيج"، والحسي في"يهد، و نشيج، مع حركة التصعيد"، فلا تفرض الرسالة نمطا واحدا يلغى عند أصحاب الانماط الأخرى، إنما اتسمت بمرونة تلائم كلا منهم فيتمكن كل واحد من بناء روابط تلائم نسبة استخدامه لكل نظام؛ مما ينمي عذوبة النص .

---

(١) المراجع السابقة نفسها
(٢) السياب الأعمال الكامل، ديوان انشودة المطر، ص ٣٧١.

الفصل الرابع

موقف القرآن الكريم من النظام التمثيلي

سوف تعرض الدراسة إلى موقف القرآن في هذا المقام من ثلاثة جوانب:

١- إقرار النظام التمثيلي وتقديره.

٢- اختلاف القرآن في تسميه القسم الثالث من أقسام النظام التمثيلي.

٣- مراعاته في الخطاب وأسلوب الدعوة.

إقرار النظام التمثيلي وتقريره:

لقد صرح القرآن الكريم بالنظام التمثيلي تصريحا مباشرا في ستة مواضع، كل موضع في سورة مختلفة على هذا النحو:

١- سورة النحل آية ٧٨ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [1]

٢- سورة الإسراء آية ٣٦: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [2]

٣-سورة المؤمنون آية ٧٨: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [3]

٤-سورة السجدة آية ٩: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [4]

٥- سورة الأحقاف آية ٢٦: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [5]

٦-سورة الملك آية ٢٣: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [6].

---

[1] سورة النحل، آية، (٧٨).
[2] سورة الإسراء، آية (٣٦).
[3] سورة المؤمنون، آية (٧٨).
[4] سورة السجدة، آية (٩).
[5] سورة الأحقاف، آية (٢٦).
[6] سورة الملك، آية(٢٣).

بعد استقراء جل التفاسير تبين أنها تتراوح من أن السمع والبصر والفـؤاد أجهـزة أو أعضاء من مجمل أعضاء جسم الإنسان إلى قول ابن كثير أنها تعنـي العقـول، فـرأى فيهـا القرطبي أنها أدوات قد جعلها الله عز وجل كي يدرك الإنسان من خلالها[١]، وكـذلك البغـوي الذي ذهب إلى أنها أعضاء[٢]، وقد ذهب كلاهما في تأويل سورة النحل إلى أن هذه الأعـضاء جعلها الله تعالى للإنسان من قبل ولادته ثم أعطاه العلم بعد الخروج من بطن أمـه، وقـد رأى القطّان ذلك وقال: " هي وسائل للعلم والإدراك، وتعامل معها في سورة الإسراء علـى أنهـا جوارح[٣]، واعتبرها الزمخشري أعضاء: "خصها الله بالذكر لما يتعلق بها من المنافع الدينيـة والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها"[٤]، وقال في موضع آخر إنها: آلات لإزالة الجهل وتزويدكم بالعلم ، "[٥] ورأى فيها في سورة الإسراء أنها شهادة الزور فقال: "تقول رأيت وسمعت ولم تـر ولـم تسمع"[٦].

وقد ذهب السعدي نفس المذهب فقال "لقد خص هذه الأعضاء الثلاثة لـشرفها ولأنهـا مفتاح لكل علم فلا وصل للعبد بالعلم إلا من خلالها ، وقد أعطاهم باقي الأعضاء هو أيضاً" [٧]، وفي سورة الملك قال: "لقد أنشأكم وكمل لكم الوجود بالسمع والأبصار والأفئدة التي هـي أنفـع أعضاء البدن"[٨].

بينما رأى فيها سيد قطب في تفسير سورة الإسراء:"منهجاً كاملاً للقلب والعقل أفضل من جميع المناهج الجافة التي عرفتها البشرية بما فيها المناهج العلمية الحديثـة"[٩]، وفـي سـورة المؤمنون قال:"تناسق لو اختلف نسبة من نسبه يفقد الإنسان الاتصال"[١٠] .

---

[١] القرطبي محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ج١، دار عالم الكتب الرياض: ٢٠٠٣ م، ص ١٥١.
[٢] البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ج ٥، ط٤، دار طيبة: ١٩٩٧م، ص ٣٤.
[٣] القطان، إبراهيم، تيسير التفاسير، ج٢، ط١، عمان: ١٩٨٣م، ص ٦٩٠.
[٤] الزمخشري محمود، الكشاف، ج٣، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢٠٠١م، ص ٢٠١.
[٥] مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٨٣.
[٦] مرجع سابق، ج٢، ص ٦٢٣.
[٧] السعدي عبد الرحمن، تيسير القرآن الكريم، ج١، ط١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ص ٤٤٥.
[٨] مرجع سابق، ج١، ص ٨٧٧.
[٩] سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٤، ط٢٥، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٢٢٢٧.
[١٠] مرجع سابق، ج٤، ص ٢٤٧٦.

وقال ابن كثير: السمع والأبصار والأفئدة تعني العقول[١] ، و في سورة الإسراء[٢] والملك[٣] قال: "أي العقول والإدراك"، ومن العلماء من مر عنها ولم يتحدث إلا عن معنى الفؤاد فالطبري في سورة النحل قال:"مالم تكونوا تسمعوا ولم تكونوا تبصروا"[٤] ، وفي باقي السور وقف على معنى الفؤاد كما لم يعرض أضواء البيان لها في أي موضع.

وعند النظر في مجموع هذه الآيات القرآنية ، تبين أن هناك مجموعة من الأمور، اشتركت بها هذه الآيات ، وكذلك اختصت بعض الآيات بميزات تدل على معنى إضافي يؤكد معاني عامة دلت عليها مجمل الآيات الأخرى.

فقد اشتركت جميعها في الترتيب وقد قال القطان: "لقد ثبت للباحثين أن السمع والبصر والفؤاد" تبدأ في فترة مبكرة جداً عند الإنسان فهو في الأسابيع القليلة الأولى ، وإن تركيز الإبصار بعد الشهر السادس ، فهي ترتيب ممارسة الحواس" [٥].

كما أنها اشتركت في سياق عام وهو العلم والمعرفة ، وهو واضح في قوله عز وجل:"ولا تقف ما ليس لك به علم" وفي سورة الإسراء قوله:"لا تعلمون شيئاً وقد سبق ما انعطف عليه في سورة السجدة قوله عز وجل:"ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم" وتحدث عن قدرة الله عز وجل في خلقه ، وكيف أحسنه ، ثم أخذ يتحدث عن موقف القيامة ، وهي من علمه بالغيب ليرد بذلك على من أنكر البعث.

وفي سورة الملك قد سبقت الآية قوله عز وجل:"أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى أمن يمشي سوياً على صراط مستقيم" والهدى والعلم فلك واحد، ثم تلت الآية قوله عز وجل:"قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين".

وفي سورة المؤمنون سبقت الآية بالحديث عن عدم معرفتهم برسولهم ، وعدم إتباع الرحمن أهواءهم، وسياق الآيات تعرف بالله عز وجل، وتعلم الناس بكليات الحياة و أساساتها لتختم المواضيع بقوله عز وجل:"قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون"، وهو جدل منهم في جميع المواضيع، ورد من الرحمن عليهم بأن لا علم لهم وأنه منحهم ما يدركون به وهو عليم به أكثر منهم.

كما أن الآيات اشتركت بالتعقيب؛ ليدل تعقيبها على استحقاق الإنسان طلب الشكر ، فإن هذا المخلوق يستحق أن يطالب بالشكر لهذه النعم وليس عليها فقط، وهو ما

---

[١] ابن كثير أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ٥٨٩.
[٢] ابن كثير أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م، ص ٥٨٩.
[٣] مرجع سابق، ج٨، ص ١٨١.
[٤] الطبري محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن، ج ١٧، ط ١، مؤسسة الرسالة ٢٠٠٠م، ص ٢٦٥.
[٥] القطان، تسير التفاسير.

أشكل على بعض المفسرين. والتعقيب بها على ضربين الشكر واستحقاق الجزاء والمعنيين بمعنى واحد " التكليف".

ففي سورة المؤمنون والسجدة والملك قوله تعالى معقباً على السمع والأبصار والأفئدة: "قليلاً ما تشكرون" وفي سورة النحل:"لعلكم تشكرون"، وهي توضح أن الشكر ليس عليها فقط وإنما بها كما سبق ، أما سورة الإسراء فهي خاصة بالجزاء ، وجميع الآيات تليها مشاهد من القيامة – من غيب الله –.

ثم إن الآيات الأربع في سور: النحل والسجدة والملك والأحقاف، قد اشتركت بعطف جعل على أنشأ أو ما يقارب دلالتها نحو أطوار الخلق أو التمكين. ويقال في اللغة جعله يجعله جعلاً ، صنعة وجعله: صيره ، وجعل الطين خزفاً والقبيح حسناً: صيره إياه ، وجعل البصرة بغداداً ظنها[١] ، إذ أن الجعل ليس كالخلق؛ حيث يكون الخلق من العدم وجعل الشيء من آخر. وعند النظر في الآيات يتبين أن بعضها قد أفاد الاشتراك في الحكم ، وبعضها قد دلّ من أي شيء كان الجعل والحكمة منه.

ففي سورة السجدة بيان لخلق الله عز وجل للإنسان على وجه الترتيب منذ البدء لقوله: "وبدأ خلق الإنسان من طين" إلى أن اكتمل هذا المخلوق وأصبح مكلفاً فقال: "ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين" ومرحلة الجسد واكتمال الجسد عند قوله: " ثم سواه " فقد سوى الطين ليتخذ شكل الآدمي، ثم قال: " ونفخ فيه من روحه " وبهذا الشيء يقوم المخلوق، ومن المعلوم أن الإنسان مكون من جسد وروح ، لكن هذا لا يميزه عن سائر الحيوانات التي هي من جسد وروح، إلا الصفة المهيأة للتكليف وهي " أحسن تقويم" وقد سبق هذه الآيات قوله: "أحسن كل شيء خلقه"، بعد ذلك عطف جعل على نفخ، كما عطف نفخ على سوّاه، وعطف سوى على جعل وعطف جعل على بدأ، لكن تميزت الجملة الأخيرة بميزة مختلفة عن ما سبق، وهذه الميزة أفادت أمران مهمان وهما تعلق الجار والمجرور بلكم، حيث أن الجار والمجرور قد أخرج الحديث من المفرد وهو الإنسان الذي يذكر أطوار خلقه، إلى الجمع فلم يقل جعل سمعه وبصره وفؤاده كما سبق أو جعل له.

وهذا يشعر السامع أن الجعل هنا من الروح والجسد معاً ، في حين أن جعل الأولى خاصة بالجسد "الطين" لذلك خص الماء المهين وهو لا روح فيه بعد ، والأمر الثاني هو خاتمة الآيات، حيث أن المعنى بالشكر هو الجمع وليس الإنسان من قبل

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، ج٢، دار الحديث – القاهرة، ٢٠٠٣م.

السمع والأبصار والأفئدة، وهذا يعني أنها ليست مجرد أعضاء وإلا كانت من الجسد الطيني، كما أنها ليست تلك المشتركة بين المخلوقات ، كما اشترك كثيراً منها بالجسد والروح، وإنما هي تماماً كما قال ابن كثير " العقل ، مناط التفكير".

وهذا يوافق معنى عطف جعل في سورة النحل على أخرجكم لا تعلمون شيئا ، ولا يكون هناك إشكالاً فلا يقال: " جعلها قبل الولادة " أما سورة الملك فإن العطف على أنشأكم وهي تحمل معنى أطوار خلق الإنسان ونفخ الروح ، وسورة الأحقاف فقد عطف "جعلنا لهم" على "مكناهم فيما إن مكناكم فيه"، وهي على المعنيين في قوله فيما إن مكناكم فيه تفيد النشأة، حيث أنها مزيدة تشبه الموصولة أو نافية، ويكون التمكين الأول أعظم أي مكناهم في الذي ما مكناكم فيه من القوة والبسطة واتساع الرزق. لكنه في السورة خص السمع والبصر والفؤاد، لأنها المعنية في الجزاء وجعلها نكرة ، ثم أضافها لهم عندما قال ما أغنى عنهم لأن الآية في العذاب من الجزاء توافق إنكارهم، وفي التنكير فائدة في السخرية، وفي الآيات الأربع ذكر لنعم الله عز وجل والتعريف بها فيكون هذا المخلوق قد اكتمل بالسمع والبصر والفؤاد.

أما في سورتي المؤمنون والإسراء فقد خلتا من العطف ، حيث إن السياق هو في التكليف الخالص والجزاء دون ذكر لنعم الله تعالى، ولا لأطوار خلق الإنسان ، ولا لمراحل مرّ بها الإنسان وعاشها، وإنما هي مستقلة، واستقلاليتها في هذين الموضعين يدل على أنها مقصودة في الخطاب، وهو استحقاق السؤال والحساب.

ففي قوله عز وجل: " ولا تقف ما ليس لك به علم ، إن السمع والبصر والفؤاد"، ثم قال:" كل أولئك" ليتحدث عن وحدة واحدة ونظام واحد هو السمع والبصر والفؤاد، وقد قال محي الدين الدرويش فيها: " لقد علقنا الجار والمجرور بمسؤولا وجعلنا نائب الفاعل ضميراً يعود على كل أي: كان كل واحد منها مسؤولاً عن نفسه، يعني عما فعل به صاحبه، وقد أسند الزمخشري مسؤولا إلى الجار والمجرور، وجعله بمثابة نائب الفاعل، وهذا سهو من الزمخشري يجل عنه لأن الجار والمجرور يقام مقام الفاعل أو نائبه إذا تقدم الفعل، أو ما يقوم مقامه وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك لأن الاسم إذا تقدم على الفعل، صار مبتدأ، وحرف الجر إذا كان لازما لا يكون مبتدأ، معناه ليس نائب الفاعل، ولا ضمير المصدر كما قال بعضهم، وإنما هو ضمير راجع إلى ما يرجع إليه اسم كان، وهو المكلف المدلول عليه بالمعنى و التقدير مسؤولاً هو، أي المكلف و إنما لم يقدر ضمير كان راجعاً؛ لكل لئلا يخلو مسؤولاً من ضمير فيكون

مسنداً إلى "عنه"، وذلك لا يجوز. فالمرفوع بمسؤول مستقر فيه راجع إليه ، وإن "عنه" في موضع نصب، وقد ذهب ابن هشام مذهب الزمخشري، وعند النظر في الآية الكريمة، يتبين أن الضمير المتصل في حرف الجر هو الذي أثار خلافاً، فقد جعله بعض العلماء يعود على كل وآخرون يعود على ما عاد عليه ضمير كان وهو كل أيضا، وآخرون قدروا، محذوفاً دلّ عليه المعنى وأرجعوا الضمير له – المكلف– "[1]، والآية تنقسم إلى جملتين: "ولا تقف ما ليس لك به علم "و" إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا "، وإن ارتباط الجملتين وثيق، والسبب في ذلك أن جملة إن جاءت لتبين وتوضح المسؤولية المترتبة على اقتفاء العلم، ولم تكن الجملتين المترابطتين هذا الترابط الشديد لتخلو من رابط يشد طرفيهما ويربط بينه، لذلك تعلق الجار والمجرور بلا تقف ، كما يقال: لا تكذب إن الله كان به عليما فيتعلق الجار والمجرور به بلا تكذب، ويجوز أن تكمل وتقول وعليه يعاقب.

ولو أن جملة إن قد خلت من الجار والمجرور لا يقع خلافاً، فتكون كل أولئك كان مسؤولا، والمعنى قد تم لكن مسؤولية السمع والبصر والفؤاد عن ماذا تكون ؟ سوف تكون عن تقفي العلم فيسأل السمع عن اقتفاء العلم والبصر وكذلك الفؤاد وكذلك ما يتمثل في كلمة "كل" حيث يتحدث عن واحدة واحدة ويتحدث عن نظامٍ واحد، لذلك قال الزمخشري قال قتادة فيها، إنها شهادة الزور، والجواب عن السؤال: بماذا يسأل كلّ أولئك؟ تقول عن العلم، فعنه متعلق بـ "مسؤولاً" وهي في محل نصب كما قال الدرويش لكن ضمير الرفع لـ "مسؤولا" يعود على كل كما سبق، وهذا الرابط هو الذي يجعل الأذن تتعامل مع الجملتين في الآية أنها جملة واحدة، وإن سبب النهي في الأولى هو الثانية ، أو يوثق هذا الفهم، فتندمج الآية مع الآيات التي سبقتها في قوله عز وجل: "ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم " و"أوفوا العهد إن العهد كأن مسؤولاً" و "أوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا" و "ولا تقف ما ليس لك به علم أن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه

---

(1) الدرويش محي الدين، إعراب القرآن وبيانه، ط٧، ج ٧، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ٢٠٠٢م، ص ١٧٨.

مسؤولا " و ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ [١]. وكذلك في سورة المؤمنون " وهو الذي أنشأ لكم السمع و الأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون " سياق الجزاء الخاص بالطاغين.

وهما يختلفان عن قوله عز وجل فيما اشتهر من القرآن من هذا الباب: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿ ١٢ ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿ ١٣ ﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ [٢] في سورة المؤمنون فلم يرد هنا السمع والبصر والفؤاد ، ذلك أن السياق ذكر لقدرة الله تعالى ليزداد الذين آمنوا إيماناً فتحدث بعضها عن خلق السماوات وعدم الغفلة وإنزال المطر، وتوالت الآيات في ذكر قدرة الله عز وجل ، وذكر نعمه، فالتكليف في الآيات ليس مقصوداً مباشراً لذلك خلت الآيات منه، فهي آيات من الله تعالى لما يراه الإنسان وهو الجسد والأرض والسماء والأنعام والمطر فلم تذكر الروح مباشرة، ولا النظام التمثيلي، وقد حمل قوله عز وجل: "ثم أنشأناه خلقاً آخر" معنى الروح والنظام كما حملت لفظة "أنشأناكم" وما قام مقامها أطوار الخلق في الآيات السابقة، فهي ليست مقصوداً مباشراً، وعطف جعل عليها وأظهر المعنى ليغيب هذا كله في سورة المؤمنون ويقول: " هو الذي أنشأ لكم..." بعد آيات تتحدث عن الجزاء والتكليف واستحقاق العذاب.

وفي جميع الحالات السابقة حاز السمع والبصر والفؤاد على مكانة عالية، وتقدير كبير من الله تعالى سواء أكان في مسؤوليتها عن العلم أم عطفها على الجسد والروح، وترقى بالإنسان لدرجة الاختيار، واختصها بالسؤال والحساب يوم القيامة.

---

[١] سورة الإسراء: آية ٣٧.

[٢] سورة المؤمنون، آية ١٢- ١٤.

اختلاف القرآن في تسميه القسم الثالث من النظام " الفؤاد "

إن القرآن الكريم سماه "الفؤاد" بينما أطلق عليه في علم البرمجة "النمط الحسي" كما تبين، ولا بد من الوقوف على معنى الفؤاد في العربية، ومواضع وروده في القرآن الكريم، إذ يتضح إن كان المقصود منه النمط الحسي أم غيره، ولمعرفة التقارب بين الفؤاد و النمط الحسي؛ يقال فأد اللحم بالنار شواه و التفؤد التوقد، والفؤاد القلب لتفؤده وتوقده وقيل وسطه وقيل الفؤاد غشاء القلب، والقلب حبته وسويداؤه.وفي الحديث: أتاكم أهل اليمن هم ارق أفئدة والين قلوبا، ومن أصابه داء في فؤاده فهو مفؤود ويقال: فأدت الصيد فأداً إذاً أصبت فؤاده [(١)].

لقد وردت كلمة الفؤاد مفردة في القرآن الكريم في خمسة مواضع، ووردت بالجمع: أفئدة في عشر مواضع على هذا النحو:

١- الفؤاد مفردة:

أ- سورة النجم آية ١١: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.

ب- سورة هود آية ١٢٠: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

ج- سورة الإسراء آية ٣٦ ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولـئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾.

د- سورة الفرقان آية ٣٢ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾.

هـ- سورة القصص آية ١٠: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) لسان العرب، ج٧، باب الفاء ص ٥

٢- الأفئدة:

أ-سورة الأنعام آيـة٣ - ١١: ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ .

ب- الأنعام ١١٠: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾

ج-سورة النحل آية ٧٨: ﴿ وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .

د- سورة المؤمنون آية ٧٨: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ .

هـ_سورة السجدة آية ٩: ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ .

و- سورة الأحقاف آية ٢٦ ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون ﴿٢٦﴾

ز- سـورة الملـك آيـة ٢٣ ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ .

ح- سورة إبراهيم آية ٣٧: ﴿ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

ط-سورة إبراهيم آية ٤٣: ﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاء ﴾ .

ك-سورة الهمزة: ﴿ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴾ .

وقد رأى جل العلماء في "سورة الأنعام آية ١١٣" وسور: "النحل والمؤمنون والسجدة والأحقاف والملك": أن الأفئدة تعني القلوب، وأراد بها ابن كثير[١] و الزمخشري مراكز العقول فقالوا: "مراكز القلوب العقول"، وقال سيد قطب: هي العقول، وكذلك قال القطان: "هي القلوب" في مواضع متعددة.

وكثرت فيها الأقوال لكن لم يثبت عن ابن كثير والقرطبي والطبري وفتح القدير والزمخشري وسيد قطب والقطان في معنى الأفئدة غير "القلوب والعقول" في جميع المواضع.

وقد ورد "لفظ القلب" في كتاب الله عز وجل في مواضع متعددة، ولا بد من بيان الفرق بينه و بين "الفؤاد"، أو ما يميز أحدهما عن الآخر، مع الإقرار أن التقارب شديد بينهما في الاستخدام اللغوي- كما ورد في لسان العرب -.

وذلك من خلال خمسة مواضع؛ سورة (الفرقان، القصص، النجم، الأنعام، إبراهيم)، فقد قال ابن كثير في سورة القصص في قوله تعالى: " وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً": خالياً من كل أمور الدنيا عدا موسى، قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد وأبو عبيدة والضحاك والحسن البصري وقتادة وغيرهم "[٢]، وكذلك القرطبي والطبري، وقال الزمخشري: " فارغ؛ صفراً من العقل، طار عقلها لما سمعت أنه عند فرعون من فرط الجزع والدهشة "[٣]، وسيد قطب قال: لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف[٤]، وكذلك ذهب القطان وانفرد الطبري بإرادة فارغا من الحزن لعلمها أنه لم يغرق ولم يرجع لقوله تعالى: وإن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها.

وقد قال ابن كثير في سورة إبراهيم في قوله عز وجل: " أفئدتهم هواء": خاوية لكثرة الفزع والخوف، وقال قتادة وجماعة: إن أمكنة أفئدتهم خالية لأن القلوب لدى الحناجر وقد خرجت من أماكنها من شدة الخوف، وقال بعضهم هواء خراب لا تعي شيء "[٥]، وقاله القرطبي. قال الزمخشري:" جوف لا عقول لها، إن القلوب مراكز

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظم، ج٤، ص ٥٨٩ – ٥٩٠.
(٢) مرجع سابق، ج٦، ص ٢٢٣.
(٣) الزمخشري، الكشاف، ج٣، ص ٤٠٠.
(٤) في ظلال القرآن، ج٥، ص ٢٦٨٠.
(٥) تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص ٥١٥.

العقول "[١]، وقال الطبري: متخرقة لا تعي من الخيـر شـيء ، خربـة كمـا تقـول العـرب بيت هواء أي خرب، حيث تمور في أجوافهم وليس لها مكـان تـستقر فيـه، وكـل أجـوف خاوي هو هواء عند العرب [٢].

وقال في سورة النجم ابن كثير والقرطبي؛ رأى ربـه فـي قلبـه ، إذ جعـل بـصره في قلبه ، أو رأى جبريل[٣]، وكثرت فيها الروايـات والتـأويلات، لكنهـا لـم تخـرج عـن الرأيين.

وفي سورة الأنعام رأى القرطبـي[٤] و الطبـري[٥]:أنهـا بمعنـى قلـوبهم أي تميـل إليه قلوب الكفار، ويحبونه ويرضون به، وقـال القطـان تـصغي تميـل ، تـستمع القلـوب إلى ذلك الخداع والقـول الممـوه بالباطـل[٦]، وقـال سـيد قطـب: قـدرنا أحـوالهم بعـد ضلالتهم[٧].

ومن الملحوظ أن الفؤاد والقلب التقيـا فـي عـدة معـانٍ، مـن حيـث إن ارتبـاط أحدهما بالآخر؛ نحو قولك: ثبت الله قلبك وثبـت الله فـؤادك، أو يقلـب الله القلـوب، ويقلـب الله الأفئدة؛ والاشتراك في اللفـظ لا يعنـي الاشـتراك فـي المعنـى نفـسه، وإنمـا يكـون لأحدهما ميزات خاصة عن الأخرى.

وبعد الوقوف على كل معنى للفـؤاد فـي كتـاب الله عـز وجـل ، والنظـر فـي سياق الآيات ، تبين أن الفؤاد قد اخـتص بالمحبـة مـن المـشاعر دون غيرهـا ، واخـتص بشيء واحد خارجي مقترناً بمكـان؛ ففـي سـورة الفرقـان قـال عـز وجـل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [٨]، فقـد اقتـرن النازل من كتاب الله تعالى بالفؤاد، أو اقترن الـوحي النـازل بـالفؤاد، وهـو خـارج عـن قلب النبي ﷺ، فهو ليس ذاتياً، كأن يكون نتيجة تجارب، ومـع أن الآيـة تـرد القـول علـى الذين كفروا إلا أنها انتهت بقوله عـز وجـل ورتلناه ترتيلا ، والترتيـل محبـب إلـى نفـس

---

(١) الكشاف، ج٢، ص ٥٢٨.
(٢) الطبري، جامع البيان، ج١٧، ص ٣٥.
(٣) تفسير القرآن العظيم، مج٧، ص ٤٤٨ – ٤٥١.
(٤) القرطبي، ج٧، ص ٦٩.
(٥) الطبري، ج١٢، ص ٥٩.
(٦) القطان، تيسير التفاسير، ج٢، ص ٩٢.
(٧) في ظلال القرآن، ج٣، ص ١١٩٠.
(٨) سورة الفرقان، ٣٢.

السامع، ويحدث ألفة بين القرآن وصاحبه ، فهـو هنـا يخـرج عـن إطـار الأمـر والنهـي بشكل جاف، وإنما ترغيب وتحبيب، وهو ما ينصرف إليه الذهن عند سماعها.

وقد اقترن فؤاد أم موسى به أو بالوحي في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١]، وإن العلاقة التي قامت بين أم موسى وابنها هي المحبة، لكنها هنا أشد من الوضع المعتاد للأم، حيث إن مكان ابنها الآن ليس ذراعيها وإنما لدى عدوها، وقد سبقت هذه الآية بقول امرأة فرعون: " قرةَ عين لي ولك، لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون"؛ وأما أمه فقد شعرت به وعلمت بما كان من أمره إذ نازعوها ابنها. وفي قوله عز وجل: " ما كذب الفؤاد ما رأى " اقتران الفؤاد بالله تعالى أو جبريل وفي كلتا الحالتين المحبة قائمة فقال قبلها: "فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إلى عبده ما أوحى"[٢]

وقد وصف جبريل بقوله:" ذو مرة فاستوى " وتكلم المفسرون أن هذا يعني شدة جماله ، فبرغم العظمة التي ينظر إليها الا أنه لم يجزع وإنما كان ذلك محبباً إلى نفسه برغم أن مكانه قريب جداً عندما أوحى ، فقد شملت الآية المحبة والقرب.

والآن لا عجب في قوله تعالى: " ولتصغي إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه........ "[٣]

إذ أن أفئدتهم لم تقترن بالكلام العادي وإنما " بزخرف القول " وهو ذو سمة جمالية محببة إلى السامع كما تحبب الزخارف إلى الناظر، وليس كل أنواع القول وإنما نوع واحد محبب للنفس خارجي وليس داخلي فهو من شياطين الإنس والجن، والمكان هنا يشعر به السامع من خلال أمرين الأول ما تنطوي عليه كلمة تصغي فهي تفيد التكرار وكأنهم من شدة ما ألفوه، يبحثون عنة إذا غاب عنهم والثاني مكان الوسوسة وهو عام سواء كان من الإنس ومجالس الألفة، أو من الجن حيث يرون هؤلاء الناس من حيث لا يرونهم.وغياب المكان يناسب عدم معرفته.

---

[١] سورة القصص: آية ١٠.
[٢] سورة النجم: آية ٩-١٠.
[٣] سورة الأنعام: آية ١١٣.

وقد وردت آيتان تختصان بيوم القيامة وهما: " نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة "[١]

و" مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء "[٢]، وهي تنسجم مع باقي الآيات ، حيث إن النار تطلع على ما حوت أفئدتهم في الدنيا عبر أزمنة متفاوتة فهي حيناً مع زخرف القول ، وحيناً مع شيء آخر مما حُرّم عليهم وهكذا، وقد قال "صلى الله عليه وسلم": " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " وقبل دخولهم النار ترى أفئدتهم هواء ، حيث أنها لا تشمل شيئاً مما اعتادت عليه في الدنيا. فحالهم مشتت حال من فرغ فؤاده فهام فلا يعرف له وجهة، وهذا الذي حصل مع أم موسى لولا أن ربط الله على قلبها، لكن لا مثبت لهم. وفي دعاء إبراهيم ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [٣]، مهوى الفؤاد في ذلك المكان مهاوي الطيور – الماء – وقد شمل بدعائه قصد الوجهة لهم و نزول الناس المكان، ومحبتهم أهله فلا يستعبدونهم ولا يستضعفونهم ، وإنما يألف بعضهم بعضاً.

ولا بد من النظر في مواضع حذف الفؤاد ، لتتبع بعض ما يقترن به نحو الجلد، فقد قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿ ١٩ ﴾ حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ٢٠ ﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ ٢١ ﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [٤]

والمكان والمكانة لقوله: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [٥].

---

[١] سورة الهمزة: آية ٦–٧.
[٢] سورة إبراهيم: آية ٤٣.
[٣] سورة إبراهيم، آية (٣٧).
[٤] سورة فصلت، آية (١٩– ٢٢).
[٥] سورة فصلت، آية (٤٤).

وفي بعض الآيات ليس من اليسير تعيين الارتباط، نحو قوله عز وجل: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ (١) ومن المعلوم أن تدبير الأمر خاصة ليس مرئي ولا مسموع ، وهل يشمله الإحساس والشعور عند من لا يتقي ؟ وكذلك قوله عز وجل: ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢).

وتتضح الصورة من نحو قوله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿ ٢٥ ﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٣)

فالآية صريحة بالشعور والإحساس بالوقت والعمل.

والجلد والمكانة وتدبير الأمر، والشعور والإحساس بالوقت والزمن والمكان ليست من المسموع والمرئي وهي ذات علاقة وثيقة بالآيات التي صرحت بلفظة الفؤاد، وقد طابقتها جميعاً.

أما القلب فلا تستطيع الدراسة أن تتجاوزه، إذ إنه ارتبط بالنظام ارتباطاً مباشراً، وفي القرآن الكريم ورد مئة واثنين وثلاثين مرة، عشرون منها بصيغة المفرد. وارتبط القلب بصيغة الجمع والمفرد بالسمع والبصر والفؤاد في سياق واحد في بعض المواضع، كما انه ارتبط مع ركنين من أركان النظام التمثيلي في مواضع أخرى، وارتبط مع ركن واحد من أركان النظام في مواضع مستقلة. ومن أمثلة ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً ﴾ فقد اقترن مع جميع أنماط النظام التمثيلي، وكذلك قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾. وقوله عز

(١) سورة يونس، آية (٣١).
(٢) سورة الزخرف، آية(٤٠).
(٣) سورة الأنعام، آية (٢٥ – ٢٦).

وجـــــل: ﴿ خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ ﴾ [١] و ﴿ أُولَـئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [٢].

ومع السمع قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذاً أَبَداً ﴾ [٣] وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [٤] و قوله: ﴿ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ ﴾ [٥].

ومـــــع البـــــصر قولـــــه: ﴿ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [٦] وقولـــــه: ﴿ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿ ٨ ﴾ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ﴾ [٧]

ومع الفؤاد قوله عز وجل: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [٨] وقوله: ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ ﴾ [٩] وقوله عز وجل: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ .

وأفرد ذكر القلب في مواضع كثيرة نحو: " ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [١٠] و ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّه بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١١]، وقوله: ﴿ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٢].

---

[١] سورة البقرة، آية(٧).
[٢] سورة النحل، آية (١٠٨).
[٣] سورة الكهف، آية (٥٧).
[٤] سورة ق، آية (٣٧).
[٥] سورة الأعراف، آية (١٠٠).
[٦] سورة النور، آية (٣٧).
[٧] سور النازعات، آية (٨- ٩).
[٨] سورة الزمر، آية (٢٣).
[٩] سورة محمد: آية (١٦).
[١٠] سورة محمد: آية (٢٤).
[١١] سورة البقرة: آية (٨٨).
[١٢] سورة النحل: آية (٢٢).

وبعد البحث في جميع المواطن تبين أن القلب يشمل الكليات وهي بناء فيه مجموعة من النتائج والنهايات التي وصل لها الإنسان مما اكتسبه شيئاً فشيئا، وقد تنسجم مع بعضها وقد تتعارض.

والألفاظ الهامة التي لا تدل على نمط بعينه تقترن بالقلب نحو العلم والفقه والمعتقد والدين والإيمان والتقوى وعكسها كذلك ، وهو أمر باطني ، والأصل ان يتصرف الإنسان على ما احتواه قلبه ومن الآيات قوله عز وجل:

- "وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون" (١)
- "وطبع على قلوبهم فهم لا يعلمون" (٢)
- "إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان" (٣)
- "كتب في قلوبهم الإيمان" (٤)
- "لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين" (٥)
- "وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه" (٦)

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [٧]، اقترن القلب مع النهايات ، وما يؤكد أن القلب بناء قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [٨] ﴿ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [٩] و ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِم ﴾ و ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴾ [١٠] و وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [١١] ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [١٢] " و ﴿ وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ [١٣].

---

(١) سورة التوبة: آية (٨٧).
(٢) سورة التوبة: آية (٩٣)
(٣) سورة النحل: آية (١٠٦).
(٤) سورة المجادلة: آية (٢٢).
(٥) سورة القصص: آية (١٠).
(٦) سورة الإسراء: آية (٤٦).
(٧) – سورة الفتح، آية (٤).
(٨) – سورة البقرة، آية (٢٢٥).
(٩) – سورة آل عمران، آية (١٦٨).
(١٠) – سورة الحجرات، آية (٣).
(١١) – سورة آل عمران، آية (١٥٤).
(١٢) – سورة التغابن، آية (٤).
(١٣) – سورة الحجرات، آية (١٤).

أما في قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ دلالة أنه مرّة بعد مرّة ، حتى تسلل إلى قلوبهم ليشمل جميع الأجزاء ، فيصبح أعظم بناء في قلوبهم، وكأنه وحده في قلوبهم.

ومن النهايات الحب وحلاوة الإيمان فحب القلب يكون بعد مراس أي مرّة بعد مرّة ، من الخلطة والكلام والنظر وما شابه، ولكنه في الفؤاد مرة واحدة ، وقد يكون قبل حدوث رؤية وسمع؛ "إحساس مجهول يبينه الزمن".

ومن الممكن تمييز الفرق بين القول: " يثبت به فؤادك " و " يثبت به قلبك " ، فتثبيت الفؤاد على ما ألف من أمر خارجي ، وتثبيت القلب على ما كان من البناء الداخلي.

ملامح من النظام التمثيلي في الخطاب القرآني

إن الخطاب القرآني موجه للإنس والجن، وقد تحداهم على أن يأتوا بمثله، فهو يتلاءم مع طبيعتهم، وينسجم مع تكوينتهم من جانب، ومن جانب أخر يرتقي عن المستوى الطبيعي المألوف لديهم،وقد صرح بذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [1] وقال: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي الأَرْضِ مَلآئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولاً﴾ [2] ويتضح أن لو نزل ملك لعجز البشر عن التأسي به، إلا أن يكون هيئة إنسان وطاقة إنسان، وهنا يتضح ملاءمة القرآن للثقلين .

فسوف تتناول الدراسة السمع والبصر والفؤاد بدقة تبين فيها مدى مراعاة الخطاب القرآني لها من خلال الألفاظ والمترادفات، ودلالة كل منها ثم تقدم الدراسة الحقيقي والمتذكر المنشأ في قراءة داخلية للنص لتتبين الغاية من كل منها، ثم تنظر في القلب وطريقة عمل النظام، وتقدم قراءة النص من الخارج لتتبين الغاية منها، ثم تقف

---

(١) سورة الفرقان، آية (٨)

(٢) سورة الإسراء، آية (٩٥).

عند الشطب والتعميم والتحريف في النص القرآني لتخلص إلى ما يشمله نظام القرآن الكريم، فتتمكن من تقديم صورة خاصة للنظام في القرآن الكريم.

- في سمع ومترادفاتها:

لقد وردت مادة "س م ع " مئة وست عشرة مرة منها سماعون، تتراوح بين دلالة عميقة وهي الطاعة وأخرى سطحية وهي خاصة بالصوت المجرد، ففي قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [1]، وقوله: ﴿وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ "[2]، وقوله: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [3] وقوله ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [4]،و قوله: ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ [5]، وقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ [6]، دلالة الطاعة.

والدلالة السطحية كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [7]، و ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [8] و ﴿رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ [9] و ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [10] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [11] و ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [12] و ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا﴾ [13] و ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾ [14] و ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [15].

---

(١) سورة المائدة، آية (١٠٨).
(٢)- سورة الأعراف، آية (١٠٠).
(٣) - سورة الأعراف، آية (١٩٨).
(٤)- سورة التوبة، آية (٦).
(٥) - سورة هود، آية (٢٠).
(٦) - سورة الفرقان، آية (٤٤)
(٧) - سورة النور، آية(١٢).
(٨) - سورة الملك، آية(٧).
(٩)- سورة آل عمران، آية (١٩٣)
(١٠) - سورة طه، آية (١٠٨).
(١١) - سورة الأنبياء، آية (١٠٢).
(١٢) - سورة الفرقان، آية(١٢).
(١٣) - سورة الواقعة، آية (٢٥).
(١٤) - سورة النبأ، آية (٣٥).
(١٥) - سورة الغاشية، آية (١١).

وورد السمع والفهم على اختيار الطاعة أو العصيان، فإذا ذكر السمع بدلالته السطحية المجردة عطف عليه الفهم كما في قوله: ﴿يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [١] فقد قال:" من بعد عقلوه " وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾، فقد قال مما عرفوا من الحق. ومما دل عليه السياق قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ، وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ، إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [٢] و الطاعة لا تتأتى من المخير إلا عن فهم فكان مما لوحظ توسطه بين الدلالتين.

وهي تشمل جميع دلالات مترادفاتها، وقد نظرت الدراسة في مترادفات (سمع) في كتاب كنز اللغة العربية؛ إذ عرض للسمع في مجموعة من المترادفات وهي سمع واستمع وجعل من استمع أصغى وأنصت ثم أضاف ندس وهي لسريع السمع وقال آلته والسمع والسامع.

وفي كتاب الله لم يرد ذكر الندس ولكن للخطف في قوله: " خطف الخطفة...." وهي خاص بالشياطين في كنز اللغة[٣]. أما أنصت فقد وردت في موضعين تختص بالقرآن وتلي الاستماع قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ وقال: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ وفي اللسان جعلها سكوت المستمع.

---

(١) – سورة البقرة، آية (٧٥).
(٢) سورة الأنفال، آية (٢٠-٢٤).
(٣) حنا غالب، كنز اللغة العربي، ط١، لبنا – ناشرون، ٢٠٠٣م، ص ٢٢٧.

وقد وردت صغى مرتين كـذلك تختص بالقلب والفـؤاد: ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ... ﴾ ، وقـال: ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ [١] وفـي اللسان صغى مال قال: " كان يصغي للهرة الإناء أي يميله ليسهل عليها الشرب[٢].

وفي أذن وآذان سبعة عشر موضعاً ، وقد رافقها في الإسناد الـوعي في قولة تعالى: ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾" والـوقر في عدة مواضع منها ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ والسمع: " آذان يسمعون بها "، وخيـر للرسـول صـلى: " ويقولـون هو أذن قل أذن خير" .

أما البصر فقد كان أغنى في مترادفاته في اللغة العربية، ففي كنز اللغـة[٣] ورد في الرؤية ثلاثة عشر نوعاً لكل نوع مجموعة من الألفاظ، وتورد الدراسة ما ورد من هذه الألفـاظ في كتاب الله على النحو التالي:

- رأى ومنها بصر وانس ونظر وجلى ولمح وإدراك وتبين ، تنور.
- في رآه عياناً مقابلاً: راعيته وشاهد
- في أحد النظر: نجم ، جحظ ، أرأى ، برّق ، راقب ، أقنع ، كلا ، أطلع.
- في أشرف ومد عنقه وبصره: تجلاه ، تطاول ، ترأى ، تراءى ، تشوف.
- تلفت
- طرف وغض
- شزره: أزلق
- نظر اختلاساً
- نظر في المرآة: أرأى وعنس
- جعل فلان يبصر: جلّى
- الرؤية وهي النظر بالعين: خائنة الأعين
- في حاسة البصر: العين ، والباصرة

---

(١) سورة التحريم، آية (٤).
(٢) لسان العرب، ج٥، ص ٣٤٣.
(٣) كنز اللغة، ص ٣٣٦ – ٣٣٨.

- في الناظر والمنظور: ناظرة ، النظير

ولا بد من ملاحظة قسمين للمسائل السابقة، وهما أن قسماً خاصاً للبصر الذي يقابل السمع، وقسماً يصف طريقة البصر وأسلوبه، وقد سبق وأن وقفت الدراسة على إشارات الوصول العينية، وتبين أن العين وحركتها تكشف النمط السائد للفرد وأسلوب تفكيره الداخلي، كما أنها تكشف عن أكثر من ذلك، وقد أدرك ذلك الإنسان منذ السابق واهتم بقراءة العين، فكانت في النثر والشعر ومحط عناية الكثيرين.

وردت رأى مئة وثمان وستين مرة في كتاب الله ، منها في رؤية المنام ، ولم يرد منها اسماً إلا سبع مرات كلها في رؤية المنام ، وقد وردت كلمة الرأي مرة واحده إضافة إلى العدد السابق في قوله: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [1].

وحدود دلالتها من الرأي والإدراك إلى الإدراك بالعين ، لكنها لم تكن للنظر بالعين دون إدراك نحو قوله تعالى في النظر ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [2] وقد لزمت الشيء وحاله لذلك كثر فيها الحال، ولم يرد معها الإدراك كونها تحمله في جميع دلالاتها، وما لم يرد فيها حالاً ورد ما يدل على حاله إلا بعض آيات القيامة، و أقرب الآيات التي تدل على مجرد النظر بالعين دون حال هي:

- ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا﴾ [3]: وقد دلّ على إدراكه له قوله لما أفل وسياق الشمس والقمر حيث جاءت بازغاً وبازغة ، فتكون حال الكوكب قبل الأفول، إذ سبقها تحديد الوقت بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ ولم يذكر ذلك قبل الشمس والقمر.

- ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ [4]: قد دل على حالها قوله لأهله: "امكثوا إني آنست ناراً"؛ فقد أدرك حال النار إذ أنها مؤنسة.
- ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ﴾ [5]: قد دل على حال تفقده للطير فهو لم ينظر بعينه، وإنما تأكد من كل واحدٍ ومكانه وحضوره فتكون الهدهد في مكانه أو حاضراً.
- ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [6]: حيث لا ترى من حالهم بعد التدمير إلا مساكنهم فقال أصبحوا لا يرى.

أما في بعض آيات القيامة فالرؤية مختلفة إذ لم يذكر حالها وما يدل عليها، وهو قوله تعالى:
- ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا.......﴾ [7]

---
[1] سورة هود، آية (٢٧).لاحظ آل عمران آية (١٣)
[2] سورة الأعراف، آية (١٩٨).
[3] سورة الأنعام، آية(٧٦).
[4] سورة طه، آية (١٠).
[5] سورة النمل، آية(٢٠).
[6] سورة الأحقاف، آية (٢٥).
[7] سورة الكهف، آية(٥٣).

- ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ﴾ (١).
- ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴾ (٢).
- ﴿ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٣)

مع ورود آيات أخرى تدل على الرؤية والإدراك ، ويوم القيامة كما قال تعالى: " فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " فالحال معلوم قائم أمام الناظرين ، لا زيـغ فيـه ولا خيبـة وسحر فالنظر والبصر رؤية، فلم يسند لرأى شيئا ليصرفها عن معنى الإدراك – الشيء وحاله – من نحو الغطاء والغشاوة أو الحدة كما في الآيات السابقة وغيرها.

وكذلك قوله تعالى لموسى "لن تراني" أي لن تدركني ببصرك ، إذ قال له موسـى ﴿ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ (٤) وقوله: ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ (٥) أي يدركون لأنهم مثليهم.

أما باقي الآيات فيتضح بها المعنى السابق ، من خلال ذكر حال أو جملة فعليه في محل نصب حال أو مفعول لأجله ، أو طلب أسلوب شرط ، يؤيد نفس الغرض المعنوي؛ وينـصرف فـي بعض الآيات للإدراك دون العين كما في قوله: ﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ (٦) وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ والعلاقة بين حدود الدلالة لكلمة رأى كما ورد في تقسيم النظام كالتالي:

المشاهدة:

- ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ . (٧)
- ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ (٨)

---

(١) سورة النحل، آية (٨٦).
(٢) سورة النازعات، آية (٣٦).
(٣) سورة الفرقان، آية(٤٢).
(٤) سورة الأعراف، آية (١٤٣).
(٥) سورة آل عمران، آية(١٣).
(٦) سورة الأعراف، آية (١٤٦).
(٧) سورة الأنعام، آية(٧٦– ٧٨).
(٨) سورة طه ، آية (١٠).

- ﴿ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾ [١]

- ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [٢]

والمتذكرة من نحو:

- ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٣].
- ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴾ [٤]
- ﴿ فَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ [٥] .
- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [٦]
- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾ [٧]

والمنشأة جلها في الاستفهام من نحو:

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ [٨]

﴿ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ [٩]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [١٠]

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا ﴾ [١١].

﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [١٢]

تمتد حدود العلاقة من الإدراك بالعين إلى الصورة المنشأة والصورة الكلية المنشأة في القلب، وهي بهذا الشكل:

---

[٦] سورة يوسف ، آية(٢٨).
[٧] سورة هود ، آية (٧٠).
[٣] سورة الحج، آية (٥).
[٤] سورة الواقعة، آية (٦٣).
[٥] سورة الواقعة، آية (٧١)
[٦] سورة يس، آية (٧١).
[٧] سورة الملك، آية (١٩).
[٨] سورة فصلت، اية (١٥)
[٩] سورة الروم، (٣٧)
[١٠] سورة الرعد، آية (٤١)
[١١] سورة الملك، آية (٢٨)
[١٢] سورة هود، آية(٢٨).

- صورة تذكرية والغرض منها التذكير
- صورة مشاهدة مدركة والغرض منها الإخبار
- صورة منشأة* والغرض منها التقويم المباشر

ورؤية يصاحبها تأويل.

- أما كلمة البصر فقد وردت اثنان وتسعون مرة في كتاب الله تعالى، دون بصير حيث وردت ثلاث وخمسون مرة جلها صفة لله تعالى، واثنتين ليعقوب عليه السلام وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [١]
- وقوله تعالى ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [٢]
- وقد ورد اسماً مسنداً ومسنداً إليه نحو:(بصرك حديد، على أبصارهم غشاوة، سكرت أبصارنا، ما زاغ البصر)، وجاء منه فعل أمر من نحو: ﴿ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ﴾ [٣]

وهي تشمل جميع مترادفاتها من الصورة المشاهدة إلى المنشاة والمتذكرة.

وقد حث القرآن على اعمال البصر، وقرع مرارا على عدم إعماله فذيلت آيات بقوله: " أفلا يبصرون ".

- ومن مترادفاتها: نظر وكثرت فيها صفة الأمر، وقد وردت لتجلب صورة مشاهدة، من نحو قوله عز وجل: ﴿ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ [٤] و ﴿ وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ ﴾ [٥] و ﴿ فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ ﴾ [٦]، و ﴿ انظُرُواْ إِلِى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ﴾ [٧] و ﴿ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [٨] و

---

*تستطيع ان تبين المعنى من قوله عز وجل "طلعها كأنه رؤوس الشياطين".

(١) سورة الرعد، آية (١٦).
(٢) سورة غافر، آية (٥٨).
(٣) سورة مريم، آية(٣٨).
(٤) سورة البقرة، آية (٢٥٩).
(٥) سورة الأعراف، آية (١٤٣).
(٦) سورة الروم، آية (٥٠).
(٧) سورة الأنعام، آية (٩٩).
(٨) سورة التوبة، آية (١٢٧).

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ﴾ [١] و ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ﴾ [٢] و

﴿ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ ﴾ [٣].

- وتذكرية نحو: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ [٤] وقوله

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [٥]

- وصورة منشاة " ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ [٦]

وقد كثرت فيها الصور المشاهدة، وجاء منها الأمر للرسول ﷺ من نحو مِنْهُمْ ﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [٧] وعند الأمر بالنظر للأمم السابقة يرد أمر بالسير فتكون سيروا وانظروا، وليس من السهل تحديد صورة متخيلة إذ تحتمل الآيات تأويلا لرؤية الرسول ﷺ ولم يرد فيها نفي، وقد وردت هذه الآيات ينظرون إليك..." فهي للصورة المشاهدة أخص، ودلالة العين أقرب على العكس من رأى.

الفؤاد:

لقد تم البحث عن الفؤاد والحديث عن ميزاته، ومما ناب منابه كلمة الجلد وشعر، ومن مترادفات شعر في كنز اللغة[٨] راع كقولك ما راعني إلا قدومك وما وُرِئتُ، وحسّ وأحسّ، وأوجس وتوجس وطرب وانفعل وأثر فيه ووقع ، وحاك، وقدح، وترقرق وشفق وعطف، وتوقد ورفق وتأتى وأنخى وغضب وحمس وهيج، كما قال في الشعور الانفعال والإدراك والحس والحماس والغار وغيرها.

سوف تميز الدراسة مجموعة من الألفاظ التي تتوافق وميزات الفؤاد وهي شعر، وأحس، وأوجس، بالإضافة إلى ما يتعلق بالذوق والشم والجلد، ثم تنظر الدراسة

---

(١) سورة يونس، آية(٤٣).
(٢) سورة طه، آية(٩٧).
(٣) سورة الأحزاب، آية (١٩).
(٤) سورة ق، آية (٦).
(٥) سورة الغاشية، آية (١٧).
(٦) سورة الحشر، آية (١٨).
(٧) سورة الزخرف، آية (٢٥).
(٨) كنز اللغة، ص ٥٢١.

إذا كانت متوافقة مع النمط الحسي أم أن الذوق والشم منفصلتان، يكون ذلك من خلال تتبع الدلالات والوقوف على التذكري والإنشائي و الحقيقي، وبعدها سيكون التمييز بين استخدام الألفاظ حسب دلالاتها فقد تكون لفظة مستخدمة للدلالة على احد الأنماط وتارة أخرى على نمط مختلف.

فيشعرون في كتاب الله عز وجل سبع وعشرين مرة ، أربع مرات تعلقت بالنفس نحو: {وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ } [١] و ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٢]، وواحدة قوله عز وجل: {أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [٣]. والباقية كلها متعلقة بأمر خارجي من نحو العذاب وأمر الله تعالى نحو: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٤] و ﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٥] كذلك تعلقت بالزمن ووقعت فيما لا يقع فيه السمع والبصر. أي أن الدلالة لأمر يجهله السمع والبصر، وقد تعلقت بالاحتساب المسبق كأن تقول أرسل بصرة ناحية اليمين ليرى، تقول أرسل فؤاده تحسباً لأمر ليشعر.

فقال تعالى ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [٦] فجردهم من الشعور ولا عجب أن تتعلق بالزمن إذ أنها قد وردت جميعها أفعالاً ووقعت فواصل سور إلا قوله: ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [٧] في موضعين، وجاءت جميعها منفية إلا قوله: ﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾ [٨] وفيها معنى النفي، وهي إقرار للإحساس قبل وقوع الحدث إي قبل إدراكه بسمع وبصر ووردت أحسّ في قوله: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ [٩]وقوله: ﴿ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ [١٠]

(١) سورة البقرة، آية (٩).
(٢) سورة الأنعام، آية (٢٦).
(٣) سورة الحجرات، آية(٢).
(٤) سورة يوسف، آية (١٠٧).
(٥) سورة الزمر، آية (٢٥).
(٦) سورة الحشر، آية (٢).
(٧) سورة النحل، آية (٢١).
(٨) سورة الشعراء، آية (١١٣).
(٩) سورة آل عمران، آية (٥٢).
(١٠) سورة الأنبياء، آية (١٢).

، وهي إقرار الإحساس أثناء وقوع الحدث، والتصرف على ضوئه، أما سيدنا عيسى عليه السلام فقال: من أنصاري إلى الله ؟ وأما الكفار فأخذوا يركضون.

وأوجس جاءت لسيدنا إبراهيم مرتين ومرة لسيدنا موسى في قوله: ﴿فلَمَّا رَأَى أَيدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴾"(١)"

﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى "(٢)

وهي الإحساس بعد وقوع الحدث، ونهى عن التجسس في ثلاثة مواضع منها قوله:" ولا تجسسوا "(٣)

الرائحة: ورد استعذاب للرائحة في الترغيب والترهيب كما في قوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴾ (٤). ولم ترد في كتاب الله تعالى لبشر في الدنيا إلا ليعقوب في قوله تعالى: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ (٥) ، وهي منسجمة أشد الانسجام مع دلالة شعر وأحس، إذ أنه وجد ريح يوسف لما فصلت العير من مصر وهو في كنعان وهو غير مدرك بسمع وبصر بعد.

وجل الألفاظ السابقة خدمت طرفاً واحداً من الدلالة، وهو الإحساس من غير لمس الجلد، والطرف الثاني في قوله تعالى ﴿ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ﴾ (٦) وهي الموضع الوحيد ونهى عن الصلاة اثر لمس النساء في موضعين: ﴿ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء ﴾ (٧).

أما الذوق فهو لما يقع من الإحساس المباشر بالعذاب وهو في ثلاثة وأربعين موضعاً، واحد منها دلالته حقيقية ﴿ فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ (٨)"

---

(١) سورة هود، آية (٧٠).
(٢) سورة طه، آية(٦٧).
(٣) سورة الحجرات، آية (١٢).
(٤) سورة الواقعة، آية (٨٩).
(٥) سورة يوسف، آية (٩٤).
(٦) سورة الأنعام، آية (٧).
(٧) سورة النساء، آية (٤٣) وسورة المائدة، آية (٦).
(٨) سورة الأعراف، آية(٢٢).

وثلاثة مواضع لكل نفس وهي ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [١] وموضعين في قولة تعالى: ﴿ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾ [٢] و ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴾ [٣] ، وباقي المواضع للعذاب وهي تنسجم والطرف الثاني للدلالة انسجاماً شديداً كما في قولة تعالى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [٤].

راعت الآيات التي ساقت الألفاظ السابقة الحس الحقيقي والمتذكر والمنشأ بنسب متفاوتة، ومن زوايا مختلفة لقراءة الآيات تقدم الدراسة منها ما يلي:

الحس الحقيقي: وهو للإخبار من نحو: آدم وحواء عليهما السلام ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ [٥] وهو منشأ للمتلقي .

والحس المجازي نحو ﴿ ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴾[٦] فهو مجازي حسي في لحظة الواقعة، ومتذكر بعدها لمن شهد الهزيمة، ومنشأ للمتلقي.

القلب:

إن ما وصف فيه القلب في كتاب الله تعالى الطمأنينة والرضا واللين والقسوة ، وقد وردت هذه الألفاظ مراراً في كتاب الله تعالى، ولا خلاف أنها نهايات ونتائج يتوصل له الإنسان مما يكسبه.

ولقد وردت صفة الطمأنينة للقلب في قولة تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[٧] فبما يكسبه المؤمن من سماعة لذكر الله عز

---

[١] سورة آل عمران، آية (١٨٥) و سورة الأنبياء، آية (٣٥)، وسورة العنكبوت، آية(٥٧).
[٢] سورة الروم، آية (٣٣)، وسورة الزمر، آية (٢٦).
[٣] سورة النبأ، آية (٢٤).
[٤] سورة النساء، آية (٥٦).
[٥] سورة الأعراف، آية (٢٢).
[٦] سورة الأنفال، آية (١٤).
[٧] سورة الرعد، آية (٢٨).

وجل يطمئن قلبه ، وقال فيما يكسبه الإنسان من بصره: ﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾ [١] وقال فيما يكسبه من حسه: ﴿ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ﴾ [٢].

وفي تضافر الأنظمة قوله: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [٣]و ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٤]واللين في قوله ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [٥] ويتضح فيها التظافر والاستجابة ، وقال ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء ﴾ [٦] فقد جعله في المثاني مكتسب السمع والأفئدة ، ولين القلب والسير على الهدى والسبيل.

أما في القسوة فقد ورد في ذكر بني إسرائيل كفرهم ونقضهم الميثاق مراراً ثم قال: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ ﴾ [٧] أي من بعد ذلك الفعل فالفعل مكتسب ، وقال فيهم: ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ ﴾ [٨] وهو تصرف لما يمليه القلب، ووصف سبيل القاسية قلوبهم بالضلال بقوله: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [٩].

وفي الرضا قال تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [١٠]، وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ

---

[١] سورة البقرة، آية (٢٦٠).
[٢] سورة المائدة، آية (١١٣).
[٣] سورة آل عمران، آية (١٢٦).
[٤] سورة الأنفال، آية (١٠).
[٥] سورة الزمر، آية (٢٣).
[٦] سورة الأنعام، آية (٨٨).
[٧] سورة البقرة، آية (٧٤).
[٨] سورة المائدة، آية (١٣).
[٩] سورة الزمر، آية (٢٢).
[١٠] سورة الأنعام، آية(١١٣).

أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴾ (١)

والسؤال عن السبب وهو التصرف – التثاقل إلى الأرض – فهل هو الرضا بالدنيا من الآخرة، وهي من أعظم نهايات قلوب المتثاقلين، وقد بينت الآيات آلية عمل النظام.

إن دخول القلب بهذا الشكل في النظام، يعني آلية عمل النظام كما تبين ويعني منطقية تظافر الأنظمة، إذ أنها ترتبط جميعها في شيء واحد فتتقارب في دلالتها الباطنية إلى أن ترتبط مع النهايات من جهة، ومن أخرى تتظافر وتتناوب لتشكل أجزاء البناء ، الذي سوف يفرض على كل منها إطاراً تعمل من خلاله فلا بد من الحديث عن الرابط الذي يمثل أهم ركائز البرمجة.

أما تظافر الأنظمة فهي في القرآن مختلفة إذ لا تتظافر في جماليات الكلام فقط، فتتظافر بالتناوب وهو توالي الأنظمة التمثيلية، فلا يكون شعراً أو زخرفاً من القول ، وتوالي الأنظمة من نحو قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿ ٢٦ ﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿ ٢٧ ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٢٨ ﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿ ٢٩ ﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ (٢).

والرابط في القرآن الكريم انسجاماً مع طبيعة الإنسان وفطرته، من ذلك ربط الظلمات بالضلالات وربط النور بالهدى والحق، من نحو قوله عز وجل : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣).

(١) سورة التوبة، آية (٣٨).
(٢) سورة السجدة، آية (٢٦– ٣٠).
(٣) سورة البقرة، آية ٢٥٧).

وهي في القرآن الكريم ذات أشكال متعددة وغايات واضحة، فقد عمد إلى الظلمات ليحضر صورتها وهي في المرجع صورة قبيحة وهي تناسب القيام وعدم الحراك لعدم إمكانية الرؤية كما في قوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَاءَ اللّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [1]

وهي انسجاماً مع الفكرة العامة والصورة الذهنية أيضاً، فالرابط موجود وهو عدم القدرة على الإبصار والمشي والشعور بالخوف وغير ذلك ، فعزز هذا الرابط ليجعله دلالة الضلال ، والنور كذلك جعله دلالة الهدى.

كما أن من هذه الأشكال إلغاء الرابط ، وإقامة آخر مكانه من نحو:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ [2] فقد احضر الصورة في أذهانهم وعمد إليها بسؤال ليعزز حضور الرابط فقال: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [3] وهذا السؤال ليحول مجرى الربط الداخلي ، فيتحول من اليقين إلى الشك ثم زرع رابطاً جديداً فقال: " ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ .

وهو تغير مباشر ونقل من الظلمات إلى النور. من كونها آلهة إلى أحجار وأسماء. ومن هذه الأشكال توجيه الإنسان نحو بناء رابط جديد ، من نحو قراءة النص من الخارج كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاء فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً

---

[1] سورة البقرة، آية(٢٠).
[2] سورة النجم، آية (١٩).
[3] سورة النجم، آية (٢٢).

وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ﴾ (١) فهو في الآيات عمد إلى السماء ووجه المستمع أو القارئ للنظر فيها ثم ربطها به مباشرة ، فتكون مرجعاً ترتبط بذكر الله تعالى ، فيسير الإنسان فوق الأرض وتحت السماء ذاكرا الله تعالى لو لم يعمد النظر المباشر لأن الرابط مفعل.

ومما تعنيه صفة القلب الحصول على مجموعة من الألفاظ ونمطية من العبارات تدل على مدى فعالية الحوار، ومدى الاستجابة إذ أن الكلام بالنهايات والكليات يعني الكلام بقناعات من الصعب تغييرها، ومن أوسع مفاهيم هذه النهايات العموميات ، فكيف يمكن للنص القرآني أن يعرض ما يقع فيه البشر في الكلام من تعميم وشطب وتحريف ؟

من هذه الألفاظ: قناعةً، حتماً، يقيناً، مؤكداً ، أجزم، قطعياً، محسوم، انتهى، أبداً، مستحيل، وعباراتها يكثر فيها التوكيدات والقطع والجزم ، ومثل هذه في كتاب الله عز وجل قولهم: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ.... ﴾ (٢) فإن هذه الآية تدل على موقفهم سلفاً بعد الدعوة، وكذلك قولهم قلوبنا غلف أي لن يصل لها أي شيء مكتسب، أو ما يساهم في بناء جديد، أو يغير في نهاياتها شيء، وقولهم قلوبنا أكنة مما تدعوننا إليه وفي آذاننا وقرا، وهي استعداد مسبق لعدم التفاعل، وعدم الاستجابة لأي حوار وأي هدي؛ ثم تعطيل السمع والبصر وتوجيهها نحو نهايات حتمية وهذا يعني شمول النظام لجميع أجزاء البرمجة.

أما التعميم والحذف فهو من نحو قوله عز وجل:

" إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون " إن الحكم على الملوك جاء من الحكم على واحد أو اثنين، وقد كان من خلال الفساد وقلب الموازين، ثم بناء المخاطب ما يشاء على هاتين المسألتين، وحذف الأمور الأخرى بشكل مقصود، والاستعاضة بقولها كذلك، وهو محاولة فصل الخطاب في شأن فعلهم.

وفي التحريف من نحو قوله عز وجل: " وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم ".

---

(١) سورة ق، آية (٦-٨).
(٢) سورة الزخرف، آية (٤٩).

وهو كثير في القرآن ، فهو صرف الواقع عن مجرياته نحو مجريات مختلفة ترتبط بالغيب فتحصل على نتيجة وهي أمر المؤمن كله خير. وجميع آيات التسرية عن الرسول ﷺ لينحرف إلى سعة الصدر دوماً فيقيم فيها.

والتعميم والتحريف و الحذف تجتمع بقوله:" و ليقترفوا ما هم مقترفون "، فالوجه العام أن ما هم مقترفون لا تحمل وجهاً حسناً وإنما مغالطة، لكن الآية توضح أن ما هم مقترفون؛ أفعالهم المترتبة على الذي رضوه بعد ما أصغوا إليه من زخرف القول.

ويضيف النص القرآني من خلال ما أفاد عن طبيعة الإنسان، نمطاً مباشراً لتعديل الأفكار، وتغير السلوك من خلال القصد إلى الفكرة العامة وتحويلها ككل متكامل، فهو لا يقتصر على الروابط الجزئية، من نحو الظلمات من وجهة مغايرة حيث أن قول الظلمات يعني كلية الضلال؛ فيبني الإنسان تلقائياً جميع أجزاء الكلية بالظلمات وروابطها، فيكون كل أمر مستقبح جزء من هذا البناء فهو إمداد بالقوة على تركها وكراهيتها والصرف عن القيام بها، والسعي نحو النور الذي تتمثل أجزاؤه بربطها بجمالية الهدى وأجزائه وهو من فعالية قوله يخرجهم.

مفارقة

حدد القرآن الكريم مسيرة النظام التمثيلي،إذ ارتبط النظام بؤطر أوسع جعلته منسجما مع العلاقات الطبيعية للإنسان والكون والحياة؛ فالدلالات العميقة لأركان النظام – الطاعة،والرأي،والحس المعنوي – ترتبط بالقلب، وفي النهايات العميقة القلبية انسجاما مع النفس والروح نحو دلالات الرؤيا؛ وهذا يمضي نحو السؤال عن المثل؛ من نحو قوله عز وجل :"ليس كمثله شئ" وقوله:"هل ينظرون الا ان يأتيهم مثل الذين من قبلهم"، لاسيما أن الدراسة بعد تعريف النظام ربطته بالهوية الإنسانية، ومن الألفاظ التي تؤكد هذه العلاقات والروابط:"المثل، والرؤيا، والمكانة، والمنزلة،والتظاهر"، وتنطوي هذه الألفاظ على دلالات تسير في القرآن الكريم بالمتلقي نحو التوحيد، ونحو السؤال عن معنى قوله عز وجل:"وليربط الله على قلوبكم" .

لقد بينت البرمجة اللغوية العصبية جزءا من هذه الإرتباطات، ولم تتعرض الدراسة للفظة:"طاقة، وهالة، والماوراء،وخط الزمن"و عبارة:"يمكن أن تجعل لأي صوت وحس شكلاً"، والمسيرة الأولى تغني عن هذا السبيل وتفي بالغرض، لذلك سوف تقدم الدراسة قراءة لسورة يوسف؛ محاولة ان تعتمد فيها على بعض ما توصلت له، مع رؤية خاصة للنماذج المقدمة بالسورة.

الفصل الخامس

سورة يوسف "رؤية وفق النظام"

بين يدي السورة

يستطيع الناظر إلى سورة يوسف، أن يقدم لهـا مجموعـة مـن الدراسـات تناسـب الموضوع الذي تبنى عليه الدراسة؛ فالسورة تقدم مجموعـة مـن النمـاذج الـصالحة لبنـاء نظرة في المجال الذي تدرس من خلاله.

يمكن للسورة أن تقدم الإنـسان النمـوذج، وفـق مجموعـة معـايير، فـي المجـال السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ ذلك أن يوسف عليـه الـسلام اسـتطاع أن يـشغل أهـم المناصب السياسية في زمانه وأن يدير شؤون البلاد، كما أن هـذا المنـصب لـم يكـن فـي ظروف بعيدة عن الإدارة الاقتـصادية، إذ إن الظـروف التـي تـسلم فيهـا يوسـف عليـه السلام حكم مصر، ظروف اقتصادية صعبة، لما شهدته البلاد مـن قحـط وفقـر فـي فتـرة زمنية حرجة، كما أنه عليه السلام لـم يكـن وليـد القـصر، أو ابـن الملـك ليكـون هـذا المنصب ذا طابع تقليدي عادي، إنما كـان وليـد الباديـة يعـاني منـذ صـغره مـا يعانيـه الغريب عن بلده، ولم يلق الحياة المثالية التي يحب النبـي أن يعـيش فيهـا، فقـد لقـي بيئـة مغايرة عن الطابع الخلقي الذي يتمتع فيه، ولقي ممن نـشأ بيـنهم مـا دفعـه إلـى الـسجن ومخالطة الطبيعة الاجتماعية المختلفة تماماً عن التي نشأ فيهـا، فهـو نمـوذج فـي الـسياسة والاقتصاد والجانب الاجتماعي.

تقدم السورة هذه القصة بألفـاظ وعبـارات متميـزة؛ إذ ترتقـي بـالمتلقي للتطلـع لذات النص في الدراسة، فالنص يعد وحده نموذجـاً لغويـاً قصـصياً فـي طريقـة تركيبـه وأسلوب عرضه للموضوع.

ونجد انسجاماً بين مقدمة السورة ونهايتها، و اتـساقاً بـين مجموعـة مـن الآيـات يمثل وحدة فريدة للسورة منفردة من جانب، ومن جانـب آخـر يجعـل الـسورة ذات علاقـة بالسور الأخرى لتشكل جزءاً هاماً من مجمل القرآن الكريم.

وكما يتسع النص متوافقاً مع الـسور الأخـرى فـي القـرآن الكريم،يتـسع الطـابع القصصي في مجال الحياة؛ فتنتقل الايات مـن يوسـف الفـرد إلـى يوسـف ويعقـوب ثـم إخوته إذ تتشكل الأسرة، ثم إلى مـصر وأرضـها إذ يتـشكل المجتمـع، ولا تقـف القـصة عند هذا الحد، إنما تضع مجموعـة مـن العناصـر تجعـل مـن زمـان القـصة ومكانهـا، أنموذجاً كاملاً في مجمل حقب الحـضارات الإنـسانية، لـتكن بدايـة تحـول وتغييـر لهـذه

الحضارات، لا يبالغ أمامه المتلقي إن قال هي مرحلة تغيير سير البشرية جمعاء، فلا يستطيع الناظر للآيات أن يتجاهل قول مؤمن من قوم فرعون: (وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يوسف بِالْبَيِّنَاتِ)، أو يتجاهل تاريخ بني إسرائيل، أو توسط السورة كتاب الله تعال معجزة " محمد ﷺ الصالح لكل زمان ومكان.

إلا أن الجانب الذي تتناوله الدراسة في هذا المجال هو يوسف الإنسان، مما يجعل فصل هذا الجانب عن الجوانب السابقة ليس يسيراً، لذا ستحاول الدراسة الاكتفاء بالإشارة لما لا يمكن تجاهله في موضوع الدراسة من الجوانب السابقة.

إن القول: النموذج الإنسان، يتوافق حتماً مع طبيعة النظام التمثيلي والبرمجة اللغوية العصبية، مما يمكن الدراسة من السير في هذا الجانب بشكل توافقي منظم.

ومن الممكن تقسيم النموذج إلى ثلاثة مراحل: الطفل النموذج، الرجل النموذج، الشيخ النموذج، وهذا التقسيم لا يحتم دراسة كل مرحلة منفصلة عن الأخرى، إنما من الممكن متابعة النماذج السابقة و ارتباطاتها الطبيعية حسب ورودها في النص.

إن في الطفل النموذج مفاداً كبيراً في حياة المتلقي؛ إذ تتمكن الآيات من إحداث تغير مباشرٍ للسامع من خلال العرض الواعي لحياة الطفولة.

وهذا التغير المباشر لا يقتصر على الوعي لتفعيله؛ إذ من الممكن إعادة تشكيل البناء الداخلي للمتلقي من خلال مخاطبته في الآيات، وهذا البناء لا يكون من السهل تغييره إذ إن نشأته مع الإنسان ساهمت مساهمة كبيرة في تشكيل جزءٍ من شخصيته، ويعزز هذا التغير الخطاب المباشر للسامع بين الآيات التي تقص الحوار في سورة يوسف، حيث إن هذا الخطاب يجعل السامع معنياً ومقصوداً في الحكم والتغير، إذ لا يقتصر على النموذج فحسب.

وتتمكن الآيات من إحداث تغير غير مباشر في تحطيم وبناء روابط داخلية، من خلال إلغاء الروابط وليس استبدالها فقط، وهذا ما يغيره النموذج حيث إن هذا التغير يتميز بالسرعة في الإنجاز الكبير في تحسين البناء الداخلي و تقويمه.

وصف النموذج

تعرض الآيات التالية الطفل النموذج بقوله تعالى:

إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿ ٤ ﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ ٥ ﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ ٦ ﴾ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿ ٧ ﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ ٨ ﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿ ٩ ﴾ قَالَ قَآئِلٌ مَّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿ ١٠ ﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿ ١١ ﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ ١٢ ﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿ ١٣ ﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿ ١٤ ﴾ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ ١٥ ﴾ وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿ ١٦ ﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿ ١٧ ﴾ وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿ ١٨ ﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿ ١٩ ﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿ ٢٠ ﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)

تبين الآيات مرحلة مهمة من حياة الإنسان، يتشكل من خلال هذه المرحلة، طبيعة تفكير الإنسان، وشخصيته و تذكر الآيات أهم ما في هذه المرحلة من أحداث وروابط في ذكر البيئة التي عاش فيها يوسف، وكيفية تفسير الطفل للأحداث من حوله، و كيف يجب أن يفكر الإنسان في هذه المرحلة.

وهي للمستمع تحطيم روابط سلبية وبناء روابط إيجابية من خلال سرد النموذج وتشكيله في داخل المستمع، ففي رؤيا يوسف الشمس والقمر والكواكب وهم يسجدون له، رابط يمثل إشراقه في داخله تبعده عن الحقد والبغضاء، وتجعل السبب مربوطاً بالمسبب مباشرةً من خلال رد الرؤيا إلى الله تعالى الذي يمثل أول رابط في حياة الطفل.

يبقى هذا الرابط مخزوناً حيوياً في حياة يوسف تظهر ثمـاره عند تحقيق الرؤيا من جانب إرجاع الأمور إلى المسبب الذي نبأه بأمره قبل حدوثه، وملائمة جروحه في سجود إخوته ومحبتهم لأنهم كالكواكب مع الحفاظ على مكانتهم الخاصة في الرؤيا كونهم أوحي إليهم من الله، والحصول على التسامح في عفوه عن إخوته عند التمكن منهم.

ومما عزز هذا الرابط في داخل يوسف تربية النبي يعقوب عليه السلام، حيث قال: يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث، ووجه السوء إلى الشيطان الذي جعله عدواً ليوسف، والذي سبب الجفوة بين يوسف وإخوته، كما دربه على كتمان السر، فهو لم ينبئه بماهية الأحداث، ومجموع العلاقات الكونية فحسب؛ إنما زرع في داخله السرية التي جعلها بينه وبين ربه من جانب، وبينه و بين ابنه من جانب آخر، ثم ساعد في تهيئته للنبوة من خلال تذكيره بأجداده الأنبياء.

وقد أوردت الآيات هذه الروابط الداخلية الهامة في ضوء أحداث عاشها الطفل في حياته وفي بيئته ليعزز الإيجابي منها ويلغي السلبي، ويبين أن هناك ما هو قادرٌ على معارضتها وإثبات ضدها إن شاء وهو الله تعالى، الذي بين أن له الفضل في كل ذلك، ليكون هذا التعارض الظاهري بمثابة معجزة ودليل على قدرته.

فمن أهم الأحداث التي وقعت في طفولته، موقفه مع إخوته، وهذا يعني ليوسف استحضار الرابط ويعني عملية التدخل المباشر من الله تعالى، فبدلاً من أن يحدث الموقف عقده نفسيه للطفل ويشكل ارتباطاً سلبياً في صوت وشكل إخوته، شكل رابطاً حسناً هو مضاء إرادة الله تعالى، وحقيقة نصرته، من خلال انشغال الطفل بوحي ربه بقوله تعالى: (وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم . . .).

إن الآية التي ظهر فيها يوسف بعد هذه الآية، هي التي ورد فيها (وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ) وهي ذات علاقة مباشرة وجوهرية، إذ إن الرابط السابق هو اعتماد يوسف على الله تعالى، والنظر للمستقبل لنصرته، و كانت من خلال صورة الوحي من الله لتظهر بصورة وحي داخلي من يوسف وعطاء منه للرجل الذي اشتراه حيث نظر لمستقبله عند عجزه وقدرة يوسف، فجوهرية معنى كلمة "الله" رابط رئيسي في حياة الطفل. وهو ممتد طوال عمره يسير مع الزمن، أي أنه يمتد إلى ما وراء الأحداث، ليجعله ينظر في مسائل الغيب من الله تعالى.

ومفاد القول أن بيئة النبي يوسف تكمن في حياتــه وعلاقتــه مــع ربــه أكثــر مــن غيره. حيث تتبين بصورة الاغتراب في قوله تعالى:"وقــد أحــسن بكــم ربــي إذ جــاء بكــم من البدو".

وتمضي الآيات إلى النموذج الثاني؛ وهــو الــشاب الرجــل، وهــذه المرحلــة تبــدأ بداية هامة تجعل من الممكــن تقــسيمها إلــى مــرحلتين: الأولــى: مرحلــة الــسر وعــدم الظهور، والثانية: مرحلة الشهرة والظهور.

وهــذه البدايــة هــي قولــه تعــالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) ففــي المرحلــة الأولى، يظهر هذا العلم من خلال رفض يوسف عليه السلام الحــرام، والتعلــق بالعفــة فــي قوله: (مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) لتذهب هذه الكلمــات فــلا تجــد تقــديراً فــي جو من الانشغال بالعاطفة، ويبقى العلم كذلك في حياتــه عليــه الــسلام حتــى فــي مرحلــة السجن، إذ يظهر تأويلاً لرؤيتين مما يدل علــى الرســوخ فــي العلــم وعلــى مــصدر هــذا العلم.

يتماشى الحكم ليوسف عليه السلام فــي هــذه المرحلــة، يظهــر منــه ســطوته فــي إطلالتــه علــى النــساء، وفــي اختيــاره للــسجن، وفــي كلمــة " قــضى" قولــه تعــالى: (قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ).

أما المرحلة الثانية للرجل النموذج مرحلة ظهــور علمــه وحكمــه، إذ يظهــر علمــه في تأويل رؤيا الملك، وفي حل المعــضلة الاقتــصادية للــبلاد قبــل وقوعهــا، وفــي عــدة مواضع منها قوله: (يا أبتِ هذا تأويل رؤياي من قبل)، ويتماشى مــع هــذا الظهــور للعلــم ظهــور الحكم، كما في استخدامه لأســلوب الأمــر فــي الــسجن عنــد حــل المــشكلة الاقتــصادية، وسطوة هذا الحكم في كلامه مع الملك إذ تبين هــذا الأثــر مــن النتيجــة، وكــذلك رفــضه الخروج من السجن بقوله:

(ارجع إلى ربك...)، وتوليه زمــام الأمــور فــي مــصر، و يتبــين مــصدر هــذا الحكم جلياً في سجود يعقوب والأبناء له، مما يجعله مختلفاً عن غيره.

لم تكن السورة تفتقر إلى المرحلة الأخيرة من عمر الإنسان لتجعل له نموذجاً قوياً، لكن هذه المرحلة من الصعب أن يشغلها صاحب حكم وعلم، إذ إنَ ذروة النموذج كانت في توليه زمام الأمور مما يناسب الدوافع الداخلية والروابط لدى الإنسان في إشغال المرحلة الأخيرة للنموذج، مما جعل آخر ما يظهر من كلام يوسف عليه السلام:" توفين مسلماً وألحقني بالصالحين"، وهو ارتباط أخيراً للصورة النهائية للرجل المنتصر الحاكم القوي الذي ينظر للآخرة بارتباطه مع الله تعالى.

لذلك لم تكن هناك انتقالة إلى شيخوخة" أو مرحلة كما في السابق؛ فكان نموذج الشيخ هو يعقوب عليه السلام، والذي جعله كذلك وجود مجموعة من العوامل المشتركة بينه وبين يوسف عليه السلام في المرحلتين، وهذه العوامل تجعل منه شخصاً مناسباً لهذا الهدف، فهو نبي صاحب علم ومصدر علمه هو الله تعالى، كما في قوله تعالى: (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)، ولقوله: (إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) في غير موضع، وقد جعلت تلك العوامل من النسق اللغوي واحداً للنموذجين، ولصلاحية النموذج يجب أن يكون قادراً على إشغال مراحل من حياة الإنسان لا يناسبها اشتراكه في الحكم مع يوسف عليه السلام.

وقد ظهر في القصة في جميع المراحل، مما يجعل هذه المرحلة حاضرة تلقائياً في ذهن المتلقي، حيث تراعي حال الإنسان، فاستطاع من خلال ذلك إضفاء طابع خاص على القصة، يبحث عنه الذهن في حال الغياب، فهو متلائم مع حياة الفرد ومنسجم مع باقي شخوص القصة. ومما شغله النموذج، الشيخ الفقير، الغني، العالم، التفي، المحتاج، رب الأسرة، القوي، الكتوم، وأهم صفة الحلم.

لقد جعلت السورة من التقاء النموذجين في غير موضع نمطاً خاصاً من الحوار، وعززت الحوار الداخلي مع النفس بشكل غير مباشر؛ فكان الجواب الذي يبحث عنه يوسف عليه السلام عند الآخر؛ من نفسه في البداية، والجواب الذي يريده يعقوب عند يوسف عليه السلام في النهاية، مع الحفاظ على ملامح متلائمة في غموضها مع التخاطر الذي يكاد ينصهر مع حديث الذات.

إن التغيرات التي مرت بها النماذج تجعلها صالحة لأكثر من جانب في الحياة، لكنها في المقابل تمكن المتلقي من تحطيم التوافق بينها وبين علوم البرمجة، وهذا من سمة التعالي في القرآن الكريم، وتوثيق ربط الأسباب والحوادث بالله تعالى، لكنها لا تشكل معارضة لجوانب العلوم في الانطلاق من قوله تعالى: (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ).

لهذا السبب ولاتساع أفق النظام التخيلي في السورة، ستقدم الدراسة السورة من خلال الوقوف على ملامح البرمجة في أنماط ألفاظها، مع ذكر الظاهر مما قام به النص من حذف وتعميم وتحريف، و التفاوت بين القراءة الداخلية للنص، والقراءة الخارجية مع لمس بعض الروابط الداخلية للصور والأصوات والإحساس، وفعالية اللغة في توجيهها.

قراءة توافقية مع النظام

(الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿ ١ ﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿ ٢ ﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) .

أدى التوزيع اللفظي للنظام التمثيلي دوراً بارزاً في تمكين المعنى لدى السامع، ورقي بمستوى الفكر البشري إلى معانٍ ذات قيم عالية، ففي بداية السورة تصريح مسبق:"لعلكم تعقلون"، وهذا الخطاب لا يخص نمطاً بعينه، وإنما يحاكي بؤرة التركيز عند أصحاب جميع الأنماط، وهو قصد مباشر إلى الفكرة ينفذ للأعماق، إذ من المتخيل أن لو كانت الآية عبارة بشرية تركيز نظرة العين بشكل مستقيم مباشر، وهو من دوال الثقة وصلابة الموقف، وعادة ما يتوقع هذا النوع من الأنماط من المسؤولين، أو بالأخص من الأعلى للأدنى عند الإنذار بأمر أو الإخبار بحالة يود الأعلى نقل الأدنى إليها.

لكن هذا الخطاب الحاد لم يستمر، إذ سرعان ما تغير لينقلنا إلى نمط مختلف عن النمط السابق وهذا النمط لم يكن تراجعاً عن الموقف، ولم يكن مقصوداً بذاته، ليظهر لنا حرصاً على توصيل المعنى، وإنما التفاوت من الله تعالى إلى رسوله ﷺ مدمجاً حقيقيين، وهما قص القصص،وهي دلالة سمعية تلائم مكانة النبي ﷺ من بين البشر فهو أول المطالبين بالسمع، والقص هنا ليس من القطع المجرد، ولا من رواية

الحكاية وحدها وإنما إشعار بالأول وعرض الثاني. كمـا أن الدلالـة الـسمعية هنـا ليـست الدلالة السطحية وحدها، ويتضح هذا من الحقيقـة الثانيـة وهـي وحـي القـرآن، ومـع أن الوحي على وجه الحقيقة الخالصة إلا أنه يلائم الـنمط الحـسي واتـضاحه هنـا مـن خـتم الآية:" وإن كنت من قبله لمن الغافلين"، فمعلـوم أن الـسمع للـوحي تبديـد للغفلـة وتفهـيم للسامع، ففيه كشف وإبانة للغموض الـذي يـسبب الغفلـة أو الغمـوض الـذي تـسببت بـه الغفلة.

والمكانة التي يحتلها النبي ﷺ لا تخرجـه مـن طـور البـشرية، إذ انتقـل الـنمط وتغير ولكن لم يتغير النبر ولم يتغير معـه القـصد المباشـر النافـذ إلـى القلـب وأسـلوب الخطاب العام المستفاد من الآيات.

وفي الآيات الثلاث الأولى صرف للمعنـى فـي نـسبة القـرآن للنبـي ﷺ، ونـسبته إلى الله مباشرة ليس في الضمائر و حسب؛ وإنما من خـلال تـسوية الـسامع للآيـات، فـي تناغم الأنماط الثلاث: البصري عند قولـه: (تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ) وهـي فـي كلمـة تلـك وفي كلمة مبين، وكأنما جعله مرئياً، ويشير له بالبنان، والـنمط الحـسي مـن خـلال الحـس الحركي المتمثل في كلمة أنزلناه وفي كلمة (أوحينا)، وطريقة توزيـع الألفـاظ بـين الآيـات الثلاث؛ إذ لا يشعر السامع بتفاوت كما لا يـشعر الـسامع بـشاعرية مفرطـة نتيجـة هـذا التوالي والدمج، وبعد ذلك حافظت الآيات علـى نـسق واحـد، وتوجهـت لجميـع الأنمـاط بالتأثير المباشر من خلال اسـتخدام الفعـل المـضارع مـع قولـه (لعلكم تعقلون)، ومـن خلال الاستعلائية فيها وفي قوله (أحسن) و (وإن كنت من قبله لمن الغافلين).

من المتوقع من أصـحاب الـنمط البـصري الغالـب، استحـضار صـورة النبـي ﷺ الذي يوحي إليه بعد انتباه مباشر، واستحضار طريقة الـوحي الـذي نـزل علـى النبـي ﷺ إذ إفادت الفرض من الله على نبيه في القول، وهـذا يحـاكي الجانـب الحـسي مـن خـلال الإحساس بالنبي ﷺ المفروض عليه الوحي والرسـالة، ورهبـة مـن هيبـة المنـزل ولفـت انتباه للإحساس بـالوحي وتنميـة الجانـب البـصري والـسمعي، والمتوقـع مـن الـسمعي الانسجام بالألف لأمرا التي تشكل حروفاً وأصـواتاً، والالتفـاتِ إلـى نـسبتها للعربيـة فـي

قوله عربياً، والاسترسال في السمع المباشر واستحضار حالة السمع المفروضة على النبي ﷺ.

وجميع الأنماط السابقة تشترك في الانتباه المباشر وفي الانسجام وتنمية الجوانب الأخرى، والتحصل على الأثر العام من الآيات وإثارة التشويق للآيات. كما تقوي الصلة بين السامع والنبي الذي جُعِلَ معه في خانة واحدة وهي البشرية وزيادة محبته لما يلقى من شدة في مهام رسالته البشرية.

قال تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿ ٤ ﴾ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿ ٥ ﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).

الانتقال للآية التالية انتقالاً مباشراً يثير التساؤل إذ ينقدح سؤال هام: وهو لماذا لم يقل: (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ) ولتكن هذه الآية تمهيداً لقصة يوسف؟

قدمت الآيات السابقة موجزاً عن قصة النبي يوسف، وخلاصة واضحة تشمل جميع مراحل حياة سيدنا يوسف عليه السلام من صغرهِ إلى مماته، وهي علاقة يوسف مع الآخر– أبيه وإخوته و الناس والأنبياء الذين اجتباهم الله تعالى وكذلك علاقته مع ربه– ورسم هذا الموجز صورة ليست بصرية فحسب؛ وإنما صورة محورية شاملة لجميع الأنماط التمثيلية (رؤية الموضوع الشمولي على هيئة صورة ذات معالم متعددة).

إن معالم الصورة في الآيات السابقة تشمل النظام البصري في الآية الرابعة، والسمعي في قص الرؤيا في الآية الخامسة، والنظام الحركي الحسي في الآية السادسة. وتتوزع الألفاظ بشكل متسق في الآيات لتدل على مزيج ملائم للموجز المذكور.

لقد قال يوسف عليه السلام "رأيت"، ولم يقل رأيت في المنام؛ إذ لا يوجد خيار صعب ليوسف عليه السلام في منامه كما كان لإبراهيم عليه السلام من خيار ذبح ولده إسماعيل. رغم وجود تشابه مع قصة جده إبراهيم عليه السلام، إن هذه الرؤيا ستقع

بعد زمن طويل، حتى يرد تأويلها في نهاية القصة مما يؤكد إطرادها في حياة يوسف، واستمرار حضورها في جميع أجزاء قصة يوسف. أما ذكر تفاصيل القصة التي تشمل أحداثاً كثيرة، فهي بعد قوله تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ) إذ جعل لكل فصل من قصته آية وآيات.

ومن الملاحظ في النمط اللغوي في الانتقال للآية الرابعة الحذف، إذ حذف المقدمة والتفاصيل ليقدم الموجز ثم يمضي للتفاصيل. وكذلك الانحراف الذي حدث ليعقوب عليه السلام، إذ انحرف عن تأويل الرؤيا، إلى الفائدة مباشرة فقال:" لا تقصص رؤياك على إخوتك"، وتفاءل في رؤيا يوسف أنها نبوة كما هي لأبيه وأجداده.

والحذف في الآيات لخلجات نفس يعقوب، فلم يذكر القرآن وجه تخوف يعقوب من أبنائه على يوسف.

وهذا الحذف إيجابي، إذا لم ينصرف ذهن القارئ إلى تفاصيل حياة عائلة في عصر سابق، وإنما وصل لمراده من تفهيم المتلقي للعلاقة الأسرية مباشرة.

وفي الآية السادسة نمط سمعي في قوله تأويل الأحاديث، إلا أنه يأخذ معنى الحسية الحركية أكثر من السمعي. إذ في كلام الأب مع ابنه حشدٌ من المشاعر يفهم بالسرية التي تدور بين الأب الكبير و الابن الحديث السن والحذف مسبوق بانحراف؛ إذ انحرف يعقوب عن ذكر التفاصيل فحذف أنواع الاجتباء وخص تأويل الأحاديث لمناسبة المكان من جانب، ومنزلة النبوة من جانب آخر، فهو كأنما يأخذ يوسف من يده ليقول له: انظر التأويل، أي انظر أين سيقع التأويل وهي مكانة خاصة للأنبياء. إذ في نظره للمستقبل يقع تأويل الرؤيا في نظرة لماضي الأجداد، وقصص الأنبياء. لكن لا يستطيع أحد أن يجزم بمدى رؤية يعقوب لوضوح صورة تأويل الرؤيا، إلا وحياً، وقد عناه من المسألة منزلة النبوة ليوسف أكثر من غيرها، فانحرف إليها مباشرة متفائلاً حذراً.

(لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ).

وقد افتتح القصة بقوله: "آيات للسائلين"، وهي تشمل السائلين عن ذات القصة أو عن أحكام مشابهة للقصة فقد تتحصل الفائدة بأخذ الموعظة على مر السنين بغض النظر عن الزمن الذي تقع فيه الحادثة. وبذلك يكون المعنى في السورة الجميع لعدم خلو فرد من حاجته لعبرة من مجمل عبراتها. وهو تعميم في نمط لغوي غير مألوف، إذا إنه برغم التعميم المعنوي تخصيص للسائلين، مما يؤدي إلى إحساس كل فرد أنه من خواص المعنيين؛ وهو ملائم لعلم الله بكل فرد من جانب وعنايته به بشكل خاص من جانب آخر.

وقد ابتدأ بقوله: "إذ" ليتسلسل بالآيات وفق الأحداث لنهاية السورة. فابتدأ بتفصيل مجمل الآية الخامسة؛ وهو كيد الإخوة.

وكان أول ما تكلم به قول الإخوة:" ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا" إذ وضع طرفين: الأب والابن والطرف الآخر الإخوة مجتمعين، وهذا يعني نمطين مختلفين من الكلام، ويؤدي هذا إلى التعميم على وجهات النظر فالذي قال: "ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة" ليس الجميع، ولكن هذه العبارة تعبر عن رأي الجميع، فهي نتيجة وصل لها كل فرد منهم وأجمعوا عليها فالتعميم صالح لكونه متفقاً عليه.

ثم ذكر أمراً آخر وهو أيضاً من نتائج ما وصلوا إليه، وهو خلو وجه الأب والتوبة بعد قصد السيئة.

ومن الملحوظ أنه قدم القول والحوار بين الإخوة فيما ما أجمعوا عليه، وما اختلفوا فيه، وقد استخدمت الآية لفظة "القول والحب ومبين" وهي تشمل الأنماط الثلاث، إلا أنهم في قول "أحب" لم يقصدوا المشاعر الخاصة بالنظام الحسي وحده وإنما أرادوا ما يصل له القلب، فلم يجدوا خياراً أمام الخلاص من ذلك الحب إلا بالخلاص من يوسف نفسه. وبعد ذلك تحاوروا في شأنه فاختلفوا في قتله ونزلوا لرأي أحدهم بأن يلقوه في غيابة الجب.

ومما يؤكد اتفاق الجميع على أن الخلاص من يوسف هو الحل إجماعهم على التوبة بعد الفعلة، فهو يؤكد أن لا مجال للتراجع، وهذا يكون بكيد أحدهم حتى يقص عليهم سبيل التردد في الفعلة.

لم تقتصر الآيات على توزيع الألفاظ في النظام التمثيلي، وإنما في رسم صورة كلية لنمط تفكر عام يسيطر على المجموعة، فبرغم ذكر مشاعر الحب والألفة، غاب

حضور الحب ليوسف والرحمة به، وهو استفزاز لمشاعر المتلقي وقدح في منهجية تفكيرهم.

وقد حذف حوارٌ طويل مفاده ما ذكر من قولهم على ضربين: حب يعقوب ليوسف أكثر منهم؛ والخلاص من يوسف لحل هذه المعضلة، وبرغم الحذف والتعميم فيما ورد من شأنهم إلا أن الصورة بدت واضحة وحاضرة في الذهن بشكل جلي.

والانحراف في القول انحراف سابق في التفكير ولاحق في السلوك، وعند الوقوف على الآيات يتضح الانحراف السلبي في الحكم على مسألتين وهما موقف الأب الذي وصف أنه في ضلال مبين، والثاني إخراجه من هذا الضلال فتجاوز الأبناء اعتبارات كثيرة تبرر ليعقوب حبه ليوسف لينحرفوا نحو اتهامه، ثم ينحرفوا بعد ذلك ليس نحو الحصول على محبة يعقوب، وإلا كانت برعاية يوسف والترقب من يوسف أمام يعقوب، إلا أنه انحراف سببه الانحراف الأول، لذلك وصلوا لنتيجة مغلوطة أدت بانحراف السلوك في التصرف مع يوسف.

وللانحراف اللغوي وجه آخر كما سبق وهو في تأويل رضا الله والتوبة له، وهو أول ما يفكر به أبناء الأنبياء عندما يقدمون على الانحرافين السابقين، إلا أنهم تركوا الرجوع من خلال الإصرار على الرأي في الخلاص من يوسف وتحريف معنى التوبة من الإقلاع عن الذنب إلى إيقاع الذنب ثم التوبة ثم الصلاح.

وهذه الانحرافات في أقوالهم توحي باعتقاد خاص، وهو أن خلو وجه يعقوب معناه الصلاح، بذلك يتجاوزون إرادة الله بالخير والشر، وهذا كيدٌ لا يتأتى من جلسة ساعة، أو نصف ساعة وإنما هو نمطٌ في تفكير مشترك بين الإخوة لسنوات، ويعرفه يعقوب عليه السلام – أو يعلم الابتلاء الواقع فيه أبناؤه.

كما أن حضور التوبة لم تكن خالية من الفوائد فبعدها برغم ما انحرفوا له، إلا أن أحدهم رجع عن القتل إلى تصرف آخر، كما حذف جدل لا طائل من ذكره حذفاً إيجابياً نتيجته إلقاء يوسف في البئر.

(قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ﴿ ١١ ﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ ١٢ ﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿ ١٣ ﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ).

لقد بدأت هذه الآيات بقوله تعالى: " قالوا..." وقد انتقل الحوار من مكان

وزمان إلى مكان وزمان مختلف، كما أن هذا الحوار بات يشمل الأب الذي يشكل مع يوسف وجهاً مختلفا؛ وهذا النسق يدل على حذف في نقل الحوار فلم يقل: فذهبوا إلى أبيهم وقالوا، ولم يقل مما يشابه هذا، والحذف إيجابي من عدة نواحٍ؛ فقد جعل الحوار مندمجاً منسجماً مما أدى إلى توافق وحدويه موضوع الحوار، فهم لم يخرجوا من هذا الحوار بعد؛ كما أنه أشار إلى فهم يعقوب. وكأنه كان معهم يسمع ما يتحدثون به، وفيها دلالة نبوة يعقوب وفطنته، و الآية لم تنقل صورة جديدة خالصة وذلك من خلال الحذف بعد القول، وهذا أدى إلى وضع يعقوب بالصورة أكثر مما سبق فلم يقل: قالوا: أعطني يوسف، وقال: لا أو نعم، ثم قالوا له كذا وكذا، وإنما دخل في صلب الموضوع الذي يعرض له مما يجعل الصورة متكاملة فهو يعرض لكيدهم، وإن هذا التوافق في وحدة الصورة يرسم لجميع الأنماط الشكل العام للحوار، مما يؤدي إلى تحقيق أي هدف تقويمي في أي جزء من أجزاء هذه الصورة، كما يخص النمط البصري في اختصار الموضوع والسمعي في تجاهل حركتهم ودرج الحوار بشكل متتالٍ.

ويكفل للحسي الدخول في جملة الأحاسيس المتضادة بين الأبناء بعضهم لبعض وبين الأبناء وأبيهم من جانب آخر.

وبعد توضيح مسارات التفكير الداخلية لأبناء يعقوب، يصبح مألوفاً أي نمط انحرافي لغوي في القصة: وقد دخلت الآية في انحرافهم أمام يعقوب مباشرةً بقولهم: "مالك لا تأمنا على يوسف ونحن له لحافظون "، فهو انحراف منهم عن صدق مشاعر الأب وتأييده

على ظنه الصحيح إلى الهدف الذي انحرفوا له في قولهم السابق، وكذلك دعوة منهم ليعقوب لينصرف عن الاعتماد على دقة بصيرته فيفتح الباب لهم ليغيروا اعتقاده فيشوبه مجموعة من الظنون والتفكير في المسألة ليحل الشك مكان اليقين، بعدها يمكن ترجيح ما يريدونه هم.

إن هذا الموقف يبدو حرجاً ليعقوب، إذ إنهم لم يعرضوا إلى مسألة خوف يعقوب على يوسف وإنما عرضوا مباشرة إلى ظن أبيهم بهم. فقد قرنوا مسألة السماح ليوسف بالخروج مع مدى ثقة أبيهم بهم، وهذا يعني قطع الطريق على تبريرات أبيهم ودعوته للمصارحة في حين أنهم لا يصارحونه، وهذه المماثلة في الحوار مقررة في علم البرمجة من خلال دعوة العقل الباطن، مما أدى إلى نقل الحوار من ساحته، إلى اتخاذ شكل التفاوض السياسي، وهذه النقلة

يُعني استحضار المشاعر التي ترتبط بيوسف، ففي الآيات يوسف يرتبط بالحفاظ عليه وعدم الحفاظ عليه وهو رابط يتعلق بحوار قريب العهد حين أجمعوا أمرهم، والرابط الآخر هو أن يوسف تعني أنهم عصبة، فهو يرتبط في أذهانهم بتفضيل الأب يوسف على أبنائه وهو واضح من قولهم سابقاً: "أحب إلى أبينا منا . . . يخلُ لكم وجه أبيكم . . ."، وقد تبين في هذه الآيات بقولهم "ونحن عصبة" أما يعقوب فيوسف يرتبط بخصوصية له عن دون إخوته، وهذه الخصوصية تجعل يوسف في كفه مختلفة تنأى به وتبتعد عنهم، كما أن ليوسف مشاعر تتعلق بالسعادة والحزن، فيتبين أن سعادة يعقوب ترتبط بوجود يوسف، وحزنه يرتبط بعدم وجوده.

إن الشكوك التي دخلت يعقوب تتضح من خلال النص؛ اذ إن يعقوب عقد حواراً مع نفسه من جهة، ومعهم من جهة أخرى. أما الحوار الداخلي، فقام بحضور مجموعة من الروابط في ذهنه، منها يوسف الحاضر الغائب، وأبناؤه فيما يجهر لهم ويسر لنفسه، وكأنما استطاع يوسف أن يشكل مفتاحاً للدخول إلى مشاعر يعقوب، فأنبأ أولاده بأن عدم وجوده لا يعني سعادتي بكم ومحبتكم، وإنما يعني حزني في افتقاده من ناحية، وفي أنكم السبب من ناحية أخرى.

يتبين من الآيات محاولة يعقوب لتغيير نمطية التفكير عند أبنائه ورفع مستوى فهمهم، ويدل على إصرارهم على ما انحرفوا له، قصة الذئب: إن قصة الذئب التي دخلت على القصة أحدثها يعقوب وهي تدل على استمرار محاولاته في تعديل أبنائه لكن هذه المرة تغيير مشاعرهم مباشرة تجاه يوسف، وذلك من خلال خلق عدو من خارج العائلة يهدد أحد أفراد العائلة وهذا يعني وجوب التوحد وإزالة الخلافات الداخلية، وهو فهم الارتباطات من يعقوب نفسه ثم هي رؤية من يعقوب وتتحد مع الرابطين السابقين ليوسف، وإخباراً منه لأبنائه أنه لا يظن أن يوسف نبي إذ إن الأرض والذئاب لا تأكل أجساد الأنبياء. وفيه إزالة لحسدهم يوسف دون اضطراره للكذب مع عدم الجزم بجميع هذه الحواضر في ذهن يعقوب.

إن الآية الأخيرة تدل على فتح إطار جديد للتفكير استكمالاً للانحراف من أبناء يعقوب، بعد عدم استجابتهم لمحاولات أبيهم، وهذا الانحراف اتضح في ترك دعوة الوالد لهم بأن ينتهوا ويتركوا يوسف وشأنه إلى مجاراة عقل يعقوب، وهو منهج خطير؛ إذ إنهم في قولهم: "إنا إذاً لخاسرون" مجاراة لتفكير النبي في جعله يتصور أنهم يفهمون هذا الكلام الذي يريد أن يقوله من ناحية، ونقله إلى هذا الشكل من التفكير،

فكلامهم صحيح؛ إنهم لخاسرون إن حدث ذلك معهم، ولكـــنهم يريـــدون أن يجعلـــوا يعقـــوب يتجاوز هذه المرحلة التي يفكر بها. برسم صورة جديدة لهم.

إن مراعاة النظام الأمثل فـــي الآيـــات تبينـــت مـــن خـــلال رســـم صـــورة الحـــوار للجانب البصري خاصة ولجميع الأنماط عامة، ومن خـــلال فعاليـــة الفعـــل المـــضارع فـــي استحضار الصورة؛ مراعاة سرعة التصور الـــذهني فـــي الحـــذف وإلغـــاء انتقـــال الحـــوار، كما لم تهمل الآيات الجانب السمعي سلفاً؛ إذ إنها تقدم النص علـــى شـــكل حـــوار، والحـــوار عامة يلائم الجانب السمعي ومن ألفاظه خاصة "القول"، وقـــد كثـــرت الألفـــاظ الدالـــة علـــى الجانب الحسي سواء في المشاعر مـــن خـــلال لفظـــة: "ليحزننـــي، ويرتـــع" للدلالـــة علـــى السعادة، أو في الجانب الحركي من خلال قولهم "يرتـــع ويلعـــب وأرســـله" وقولـــه "تـــذهبوا به". كما عرضت الآيات لمكانة يوسف من يعقـــوب علـــى وجـــه الخـــصوص، كمـــا أوردت لفظة "الغفلة" لبعده عنهم في المسافة الحقيقية والمعنوية.

(فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِ وَأَجْمَعُواْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ)

ابتدأت الآية بقوله: "فلما ذهبوا به" ولم تخـــتم الحـــوار فـــي الآيـــات الـــسابقة، وإنمـــا انتقل نحو النتيجة مباشرة وهذا الحذف يدل على طريقتهم فـــي أخـــذه، فهـــي تـــوحي باتخـــاذ القرار من قبل الأبناء والتصرف المباشر، حتـــى لـــو أذن يعقـــوب بـــذلك فهـــو قهـــرٌ مـــنهم لأبيهم، وغلبة منهم على أبيهم. وفي الآيـــة انحـــراف مباشـــر نحـــو النتيجـــة التـــي وصـــلوا إليها، في تلاؤم النتيجة التي انتقل منها في الآيـــات الـــسابقة والنتيجـــة المباشـــرة المـــذكورة بقوله: "وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب"؛ فهـــذا الـــذكر لا يـــدل علـــى التكـــرار، وإنمـــا يدل على حوار جديد محذوف من الآيـــة وإجمـــاع جديـــد لمـــا أجمعـــوا عليـــه ســـابقاً، دون إعادة الانحرافات التي وصلوا لها، لأنها معلومة سابقة ولا جديـــد فيهـــا. ثـــم ذكـــرت الآيـــة الوحي ليوسف عليه السلام، وهو أول مشهد للوحي مـــن الله ليوســـف عليـــه الـــسلام، وهـــو تدخل مباشر من الله تعالى لترجح كفة يعقوب ويوسف عليهمـــا الـــسلام، وفـــي هـــذا التـــدخل نصرة في موطن الهزيمة وقوة في مكان الضعف الذي نـــزل بـــه يوســـف. فينقلـــب المـــشهد انقلاباً مباشراً لينزل الإخوة منزلـــة الـــضعف وينـــزل يوســـف منزلـــة القـــوة، و هـــي مـــا يحضر في الذهن فيما ســـيأتي مـــن الآيـــات الكريمـــة؛ فيظهـــر الكائـــد مكيـــداً، والخـــادع مخدوعاً. وهذا الشكل يتميز بنقل السامع من مرحلة الـــسمع لمرحلـــة المـــشاركة فـــي العمـــل من خلال تبصرته بجعله يرى المشهد من مكان عـــال والتحـــرك فيـــه والتنقـــل مـــن خـــلال

التفاعل الذي أحدثته لفظة الـ "نا" الملحقة بالوحي. والآية تصرح بقطع خط الزمن من خلال طيه من هذا المكان الذي يوسف يعاني فيه هذه المحنة بلا حول ولا قوة إلى زمان بيده السلطة والقوة على إخوته، من زمن يبدو فيه مكيد إلى زمن يكون هو الكائد فيقول لإخوته: "بل أنتم شرٌ مكاناً والله أعلم بما تصفون" وهي تتلاءم مع قول يعقوب: "وكذلك يجتبيك ربك..." إلا أنها في مكان غير متوقع. إذ إن الوحي لم يأتِ بخلوة النبي؛ إنما في قمة الحضور مع إخوته لما حل به من محنة – وإن لجأ من ضيقه إلى الله– وهي حلول الله مكانة الأب الذي يحضر في ذهن الطفل، والذي فيه تتجسد القوة والحماية والملجأ. وفي هذه الحلول دلالات حسية مباشرة يحتاجها الطفل أكثر من غيره خاصة في هذه المواقف.

إن الإيحاء في الآية الكريمة يصرح أن الوحي خارجي، فهو يعي اللاشعور ويفهمه و يستحيل أن يفهمه طفل ويقع في وهم، وهي انتقال ليوسف من مرحلة إلى مرحلة عظيمة يفهم فيها معنى الأحاسيس، ويرى آيات الله في أعظم مخلوقاته " الزمان" والمكان".

إن خاتمة الآية: "لا يشعرون" تتلاءم والنمط الحسي المفروض في هذا المقام، إذ يتردد الأخ في التصرف مع أخيه بهذه القسوة والدافع لهذا التردد هو الشعور، فهو ملائم لغياب أحاسيسهم في المكانين وهم يفعلوا بيوسف هكذا، والمكان الثاني وهم في كربة السرقة في مصر.

وتظهر الآية مظاهرة الله تعالى لنبيه يوسف في صرف إحساسهم عنه إلى الإحساس بالله تعالى مباشرة، وبالتالي الصرف عن القتل لأمر آخر مختلف.

(وَجَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ).

هذه الآيات تشكل وحدة مستقلة، وتظهر مدى التصرف الدال على موقع غور الانحراف الذي وقع فيه إخوة يوسف، وقد استخدموا الجانب الحسي لملاءمته مشاعر أبيهم فجاءوا يشاركونه الحزن أو يدعونه ليشاركهم الحزن.

إن ذكر وقت العشاء مع البكاء وحركتهم بالمجيء، يشكل انطلاقة لمشهد عميق يظهر من خلاله انطباع الذات لذلك الوقت الذي يستجد فيه الحزن فتنطبق الصورة الداخلية العميقة مع المذكور، مما يهيئ النفس لتلقي أي عظة ووضعها في العمل من خلال تقويم مباشر للنفس، وقد تحققت في قول يعقوب:" فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ "، وحالتهم في مشاداتهم مع أبيهم، اذ تقود لهذا التقويم من خلال خلجات النفس و مشاداتها صاحبها.

وقد ذكرت الآيات الكريمة، التصور الداخلي لأبناء يعقوب عن أبيهم من خلال قولهم: "وما أنت بمؤمن لنا". والإيمان هنا من نهايات ألفاظ القلب، فيدل على أنه لا يؤمن لهم في كثير من الأمور، وليس فقط في هذا الأمر. ويدل أيضاً على هروب واضح من الإخوة عن الوجه الحقيقي لفهم سبب فقد يوسف؛ إذ إنهم يريدون أن يكونوا مجبورين على هذه الفعلة من فهم مغاير للقدر عندهم، إذ إن كلمة "لو" تحمل اعترافاً بالكذب وتأييداً ليعقوب الذي يسألهم عن تصرفاتهم.

وقد انتقلت الصورة من الكلام إلى الحركة، مما أثرى المشهد وساعد في تغذية الجانب البصري، مع أن الموقف ذا طابع حسي؛ وذلك من خلال ذكر القميص الذي عليه الدم، وهذا التصرف امتداد للانحراف اللفظي السلبي الذي جعلهم في موقع التمثيل والتزييف. ودلالة على احتمالية حذف إيجابي يجعل المشهد منسجماً مع السابق، وينقل المشهد من عقدة لعقدة، إذ يحتمل أنهم أحضروا القميص بدون دم ثم سألهم أبوهم عن شيء من أثر يوسف، فوضعوا الدم وأحضروا، فعرفها يعقوب فقال: "بل سولت لكم أنفسكم أمراً". وعدم الحذف لا يحضر في الصورة جديد، إذ إن الحالتين سواء؛ في أن الدم والقميص جزء من الخطة وإما أنها عارضة لسؤال يعقوب عن شيء من أثر يوسف؛ فلا تريد الآيات أن تبرر وهي في محط التقويم.

وفي موقف يعقوب مقولة "سولت" مغايرة لطوعت في ذكر ولدي آدم "فطوعت له نفسه قتل أخيه..."[1] ثم أبهم الأمر وجعله نكرة، وهو يدل على مدى مصادقة قلبه للسانه، وبذلك يكون على عكس أولاده فقوله: " بل سولت لكم أنفسكم أمراً" متلائمة ومدى غموض الصورة في داخل يعقوب لما يحدث ووضوحها عن طريقة تصرف الأبناء.

---

[1] سورة المائدة: آية (٣٠).

ثم قال: "والله المستعان على ما تصفون". وهـو انحـراف داخلـي ليعقـوب مـن تفكيـره بمكان ولده و كيف يجده، إلى لا بد أن يكون بخير، والجواب مـن الله تعـالى بتـدليل فـؤاد يعقوب السيارة على مكان يوسف ليكون بخير معهم.

لذلك انتقلت الآيات مباشرة إلى السيارة التي هي بمثابـة المنقـذ مـن المـوت، وقـد تلاءم هذا الاتصال بين الثلاث يعقوب والسيارة ويوسف مع قوله تعالى:"أرسلوا".

(وَجَاءتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلاَمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لاِمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَكَذَلِكَ مَكَّنِّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)

إن هذه البداية في قوله تعالى: " وجاءت سيارة" تمثل سير القصة نحو المفيد من القـصة، إذ أحدثت انطلاقة جديدة للقصة مع يوسف وحده ورحلته، لذلك تم التجاوز عن موقف الإخـوة والأب وترك الموقفان من خلال قوله تعالى: "لتنبئهم... وهم لا يشعرون" وقول يعقوب: " فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ " وهاتان الآيتان تمثلان رابطاً للقصة حتى نهايتها ليظهر الإخوة من جديد ويعقوب كذلك، فالتدبير الإلهي في القصة يقع في مرحلتين اللحظي، وهو تجنيب يوسـف القتل من جهة وإنقاذه بالسيارة من جهة أخرى، والمرحلة الثانية ممتدة عبر عمر يوسف، ليقف أمام إخوته وأبيه من جديد في موقف مغاير، والثانية تشكل استقامة للقصة وتكفل استقامة ليوسف الذي سيبقى ذاكراً لله ولوعد الله طوال هذه المدة، وكذلك أبيه؛ فتُحدث تقويمـاً لـنفس الـسامع بالسيطرة على المخزون الداخلي للقلب، ومنحه أمداً أطول في ذكر الله تعالى وعدم الملل ولـو طال الأمد؛ إذ إن هذه الصورة تحكي قصة كل فرد من خلال المقدمة كما تبين.

إن هذا يمثل تقليماً للقصة ونزع التشعبات الروائيـة الجانبيـة التـي لا طائـل منهـا، لذلك قال: "أسروه بضاعة" ثم قـال: "شـروه بـثمن بخـس" دون أن يـذكر تفاصـيل البيـع والشراء، ودون أن يعرج على مواقف فـي أرض يوسـف والانتقـال لأرض جديـدة وهـي مصر.

إن الآية تقدم كل ما سبق من الأحداث المتسارعة بشكل متوافق لطبيعة الأنظمة الداخلية، فقد قدم لنا الشعور بالسعادة والتصرف على وفق هذا الشعور بشكل سمعي وبصري، إذ إنه ذكر صوت الوارد إذ نادى: "يا بشرى هذا غلام"، ثم غاب هذا الصوت العالي لكي لا يعرف أحد بمكان هذا الغلام، ثم قال: "وأسروه" ليتوافق الإحساس بالسر مع الصورة العملية في طريقة التستر عليه، معززاً الصورة بقوله: "بما يعملون"؛ ليشكل لنا صورة مركبة سريعة تنقل دافعاً بتفاصيل دقيقة وإيجاز عجيب، مما يكفل للسامع الإحساس بالقافلة ومرافقتها إلى مصر دون أن يذكر سيرها.

ثم ترك الإبهام في تفاصيل عملية الشراء، ليجعل المستمع ينظر للقضية بشكل أساسي ومهم من خلال عرض عملية البيع والشراء التي حدثت في مصر، وهي صرف من النبوة للعبودية، لكن هذا الصرف لم يدم إذ عقب عليه بقوله وكذلك مكنا ليوسف في الأرض.

وقد ذكر شكل التمكين من خلال عرض صورة جديدة من الأحاسيس في قول "الذي اشتراه من مصر" ليشكل مزيجاً جديداً من النظام، وينقل يوسف من مكان العبودية لمكان السيادة ومن مكان الإزدراء إلى صلب المحبة، فقد استطاع أن يكون قضية عظيمة في قلب الذي اشتراه، مما جعله يحسن تعامله وينظر له نظرة طويلة الأمد، كي ينفعه في آخر عمره وينصرف يوسف عن مكانة الاختبارات السريعة والتعليم القاسي الذي يتعرض له العبد.

وفي الآية تجاوز عن مسألة عظيمة قد يتوهم السامع أنها انحراف، وهذا التجاوز الوارد في الآيات يضع أمام السامع شكل الانحراف ليدعه وينصرف عنه، وهذا يعني الارتقاء بعقل السامع من الواقع إلى ما هو أكثر واقعية، وليس انحرافاً نحو غيب يكفله الزمن. فإن ملامح العبودية انتهت تماماً من خلال التبني، فلا داعي للانحراف النفسي عن العبودية وإنما هو واقع نفذه الله مباشرة، وهذا يدل على غلبة أمر الله تعالى؛ لذلك كان من المناسب في هذه النقلة أن يقول: "والله غالبٌ على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، وهذه الغلبة لم تقع في لحظة حب عارضة وإنما قرار من الرجل الذي اشتراه وقد تبين ذلك في قوله تعالى: "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض".

ثم قال: "ولنعلمه من تأويل الأحاديث" وفي هذه الكلمات مناسبة للنمط السمعي ورابط مع قول يعقوب: " ويعلمك من تأويل الأحاديث". ومن هذا التعليم حسن ربط

الأحداث بالله تعالى وإرجاع الأمور له وهذا تقويم غير مباشر للسامع من خلال رسم معالم الصورة الداخلية لتفسير الأمور وربط السبب بالمسبب فالتعقيب مباشرة بعد هذه الكلمات كان قوله تعالى: " والله غالب على أمر".

ومن الملحوظ كثرة التعميم في عواقب الآيات السابقة على ضربين:

- تعميم من الله تعالى، وتعميم من داخل القصة.

والتعميم الداخلي في كلام أبناء يعقوب من غير يوسف عن أنفسهم وكلام يعقوب الأب عنهم، وهذا التعميم يدل على مدى ترابط العصبة ومدى اتفاقهم، و مدى فهم يعقوب لذلك.

- والتعميم الثاني في قوله تعالى: " آيات للسائلين" وهي إخراج الآيات عن كونها خاصة ليوسف، أو للنبي كما قال: "من قبله لمن الغافلين"، أو للعرب كما يظهر من قوله تعالى: " إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون" لتكون للسائلين؛ وهذا اللفظ يشمل كل من يسأل عن آيات الله تعالى، أو عن موقف له في أي طور من أطوار حياته، من خلال سرد النموذج، ومستلزماته من الشخوص التي ترافق تصرفه في الأحداث، أصحاب التصرفات المختلفة. فهو تعميم، يخص كل سامع، ويشمل الجميع في نفس الوقت.

وكذلك قوله تعالى" ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، في زمان فيه نبي غير يوسف في الأرض، وهو بالرغم من ظاهريته بالتعميم إلا أنه إضراب عن التعميم، في إخراج القليل منهم على مختلف الأزمنة مقارنة مع الوجه الآخر. مع ملاءمة كلمة الناس لمدينة مصر، وإخراج الآيات عن الطابع الأسري الذي يهتم بالسلالة كما كان عند يعقوب.

(وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) آية "٢٢"

وفي هذه الآية نقلة نوعية تلائم سبق الزمن في نصرة الله تعالى نبيه يوسف، وهي حذف لموقف امرأة الرجل الذي اشتراه لتدخل تفاصيل القصة من ذلك الموقف إلى أن يبلغ أشده ضمن مجمل قوله تعالى: " وكذلك كدنا ليوسف"، لكن تمام المعنى

يكمن في موقف يوسف من سلوكيات أصحاب دين الملك، فالمرأة بعـد هـذا الـزمن تظهـر سلوكاً مختلفاً عن سلوكيات البيئة التي كان فيها يوسف قبل مصر.

وهو موقف يظهر محنة جديدة ليوسف، وهـذه المحنـة تتفـق مـع محنـة الطفولـة من وجه القوة والضعف، فإخوة يوسـف فـي موقـف قـوة جـسدية ماديـة لكـونهم فتيـة ويوسف في موقف ضعف لكونه طفل، وهنا، ذكر تعالى أنه بلـغ أشـده، فالـشهوة الجنـسية ليست في حالة ضعف للناس في هذا السن، والجدير بالـذكر صـرف النظـر عـن عطائـه لامرأة العزيز، كما سبق عن الوحي الداخلي المفـروض مـن الله، ذلـك أن الله تعـالى فـي المحن رئيسي اليوم، فهي كلية تامة في قلـب يوسـف لـذلك قـال: " معـاذ الله إنـه ربـي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون"، على النظر لكلمـة ربـي أنهـا الله فـي ربـط الـسبب بالمسبب، كونه تعالى صرف عنه قيد العبودية في ذات لحظة الشراء والبيع كما سبق.

وموقف الشاب أمام المرأة موقف محـرج لكونـه لا يريـد أن يـرفض لمـن عـاش عندها طلباً، إنما كان علمه الله الاعتماد عليه مباشـرة فـي أخـذه مـن أبيـه، وفـي نـزع الرحمة من قلوب إخوته، أراد أن يتفرد في الحصول علـى طاعـة يوسـف، فـرأى برهـان ربه، إذ إن الشاب اليوم يحتاج لشيء من الوحي أكثـر مـن طفـل البارحـة، فكـان الـوحي من الله تعالى له أكثر محسوسية مـن الـسابق – أي أكثـر زجـراً وحرفـاً عـن الأمـر – سواء كان في رؤية موقفه مع المرأة المحرمة عليـه اليـوم فـي الـزمن اللاحـق، أم وجـه من تظاهرت معه على يوسـف أم غيـر ذلـك، إلا أن الـوحي ورد بكلمـة رأى البـصرية، مما جعله واقعاً في عالمنـا لا فـي الملكـوت فقـط. ويكـون إيقـاع الـزمن بـذلك أكثـر محسوسية وأبلغ صرفاً – فالصرف في الآية مباشـراً مـن الله تعـالى، وهـذا يعنـي فهمـاً جديداً عظيماً ينأى بالنبي لعالم مختلف، يثير في النبي ما هـو أعظـم مـن الـشهوة وربمـا من الملك، ليجعله بعد كل ما سبق في حالة عيافةٍ* للدنيا ربمـا تجعـل الألـم عنـده فـي الله أحب من الدلال والرخاء، وهذا دافع لقوله: " السجن أحـب إلـي... "، وهـي ممـا يلاحـظ في قوله تعالى: " وكذلك كدنا ليوسف".

(وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿ ٢٣ ﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿ ٢٤ ﴾ وَاسُتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ

---

* مزيج من الزهد والاغتراب

قَالَتْ مَا جَزَاء مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوَءًا إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿ ٢٥ ﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ ﴿ ٢٦ ﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ ﴿ ٢٧ ﴾ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿ ٢٨ ﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ).

إن هذه الذي مر به يوسف انحراف، لكنه مختلف لأنه نبي، فهذا الانحراف عن المشادة التي حصلت من واقع مادي إلى روحانيه عالية. ومن الواضح أن هذا الصرف تبعه حذف، إذ أنهما ألفيا سيدهما لدى الباب، دون ذكر لكيفية التخلص من الأبواب، وإيجابيته بالاكتفاء بقوله: "لنصرف عنه السوء والفحشاء"، وهو تقويم النموذج في محنة جديدة، وردت بها كلمة "هم وهمت وألفيا"، وهي ألفاظ حسية في الجانب المادي والمعنوي، تناسب الملموس والإحساس الروحاني. وتحقق صورة حركية تفاعليه مؤثرة في السامع.

وهذا الإبهام يجعل التعميم اللفظي شاملاً لاحتمالات قصص مشابهة لهذه القصة، ففظاظة اللفظة من إيجابية تقويم السامع في أي زمان ومكان، كما فيها حذف لتفاصيل متخيلة سلفاً من خلال دمج الصور المتتالية للموقف.

تقدم الآيات الحل لموقف يوسف لكنه من خلال محنة جديدة وهو موقفه أمام العزيز، فتنتقل الآيات من موقف العاطفة إلى موقف العقل دون أن يتغير النسق العام للآيات، وهنا يتبين التشابه مع قصة يوسف الطفل، فلم تتغير مصداقيته برغم الكذب الذي ادعته زوجة العزيز، والكذب هنا يمثل الانحراف في السلطة خاصة في مجتمع لا ترتقي به هذه الخطيئة لدرجة العقاب لأصحاب السلطة، إلا أن وجود يوسف في الموقف هو من أضفى على الموقف هذه المكانة في ذلك الزمن، ونستطيع من خلال هذه الآيات أن نحدد حياة النبي في مصر، وعلاقته الاجتماعية في القصر وخارج القصر، مما يدلنا على حذف إيجابي معلوم لدى السامع عن أخلاق نبي في زمان و مكان يفتقر للموحدين، ويعزز هذه المعرفة موقف الذي شهد مع يوسف.

في الشهادة محاكاة لما يجول في ذهن العزيز، إذ إنه قد رأى قميص يوسف، إلا أنه في وضع يجعل الشك يتسلل إليه، فهذه الشهادة لا تمثل رأياً خاصا وإنما صرفاً

للعزيز عن تحريف الموقف لما ترتضيه نفسه من تصرف زوجته، وترجيحاً لما يوافقه عقله عليه.

كما أن الآيات تمكن السامع من فهم تفكير العزيز، ويجيب عن التساؤل حياة يوسف من الطفولة إلى ذلك الموقف، إذ إن النبي يظهر له ما يجلب التساؤل ممن حوله لا سيما أصحاب بيته فقوله: "إنه من كيدكن" يبين ارتباطاً داخلياً خاصاً ليوسف، إذ يدخل طفلاً غريباً القصر ليصبح ولداً للعزيز، ويحصل على محبة الجميع، ويقدم نسقاً ثقافياً لم يألفه القصر من قبل يثير تساؤلاً عن كيدٍ لا يعقل من طفل، ثم قال بعد ما تبين له مضطراً للاعتراف: "يوسف أعرض عن هذا"، وفي قوله: "هذا" دلالات تتوافق مع احتمالات صرف الموقف عن سطحيته، وظاهره، وتنوه بعقيدة ذات ارتباطات معقدة تناسب مكانة العزيز السياسية وهاجسه والتدبير لتهيئة رجل ذي مكانة خاصة في مصر. وسواء أكانت الشهادة من رجل أم كانت من طفل من أهلها فهي فاصلة في عدم قذف النبي عليه السلام.

تقدم الآيات الموقف في سياق حوار عام بلفظ: قال وقالت، مع الحفاظ على صورة عامة مزيجة من الأنماط الثلاث، فهي تحاكي كل نمط على حده دون أن تخلق الباب على واحد منها، فهي تفتح المجال الحسي أمام مشاعر العزيز وهو في موقفه مع زوجته ومن تبناه، وتقدم الاضطراب في داخلية المرأة والثبات في داخلية يوسف، مع عدم إهمال الألفاظ التي تومئ بذلك مثل " راودتني عن نفسي" والحركة في دلالة "استبقا" الباب لمشاعر كل منهما، وكلمة العذاب لحضور ضدية اللذة الحسية في داخلها، و صرفها العذاب عنه باختيار السجن، فهي بين تبرئة نفسها والدفاع عنه، و ذلك تدبير عقلي؛ إلا أنه مبني على مشاعر وأحاسيس ذات ارتباط قلبي تراكمي. كما مكنت السامع من استحضار شهادة القريب ووقعه في داخلها.

ظهرت صور جزئية في الصورة الكلية، بتفاصيل هيئة القميص وشكله، و منظر القصر والأبواب، حركة الناس داخله، مما عكس حياة مغايرة عن حياة عامة الشعب المصري.

ينتهي هذا المشهد دون أن يقدم حلاً كاملاً للمشكلة التي عرضها، لتتحد القصة مع قصص سابقة ليوسف عليه السلام في المراهنة على عنصر الزمن؛ إذ يبين فيه الحق، وتحل المشاكل متزامنة، إلا أنه ينتقل إلى مشهد تكميلي يصف أحوال القصر من بعد هذه المواقف وحال المدينة.

(وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ ٣٠ ﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿ ٣١ ﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿ ٣٢ ﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿ ٣٣ ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٣٤ ﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ)

إن الانتقال لقول النسوة وتعليقاتهن في المدينة، يدل على آيات ظهرت ليوسف عليه السلام سواء أكانت في القصة ذاتها أم من قبلها. كما تكشف الآية عن حال امرأة العزيز، وحضور الحادثة مع السيد من قبل آخرين، وهي جزء محذوف في الآيات وقد قدمت الآيات المشهد بصورة حوار تفاعل يخرج الجانب العاطفي بالعقلي، ويكشف الأثر الحسي لوقع الجمال في داخل النسوة، لتتصرف بشكل عشوائي استجابة لمشاعر داخلية، وتقدم نمط التفكير الجمعي في المجتمع ليكون معلوماً لدى السامع برغم حذف تفاصيله، فإذا ما قال تعالى: " مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ" يكون معلوماً للسامع مدى المفارقة بين دين يوسف ودين الملك، فالآيات تشكل ارتباط داخلياً يدل على العقيدة برغم الاكتفاء بذكر الأخلاق العامة في تفكير المجتمع.

تقدم الآية الثلاثون الحوار الذي دار بين النسوة من خلال مزيج من الأنظمة التمثيلية و ذلك بلفظ: "قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا"، ومن المعلوم أن هذا نمط حسي يقود إلى تراكم قلبي يحدد سلوك صاحبه ويفرض عليه تصرفاً خاصاً بعيداً عن الاعتبارات الأخرى، وعقبت الآية بقوله: "إنا لنراها في ضلال مبين"، والصورة البصرية هنا خاصة للبصر من دون ارتباطات القلب، والضلال هنا استجابة لما عند يوسف من عفة من جانب، و بيان لمدى الحب من جانب آخر كما تبين.

يتعزز النمط السمعي في هذا المشهد ويعتمد عليه في الرواية وفي خصوص اللفظ، فقد ذكرت الآية الواحدة والثلاثون: "فلما سمعت بمكرهن" ومن المعلوم أن المكر يختص بالمعرفة من دون السمع، فلم يقل فلما عرفت بمكرهن، كما لم يقل فلما أحست بمكرهن ليدل على الحذر، وقد خدم هذا النمط وصف الحالة التي عليها امرأة العزيز فهي في قضيتها منشغلة عن التحسب للكلام، ومجتمعها لا يأبه بالكلام من هذا النوع كما في مجتمع الإسلام. وهذا يعني أنها قد سمعت من دون قصد وتتبع من جانب، وأنها سمعت بعضهن مباشرةً وهو ما نزل منزلة اللوم في قولها فذلك الذي لمتتني فيه.

إن التصرف الذي تبين من امرأة العزيز يقدم في درج النمط السمعي العام، ليقدم إحساساً ومشاعر بصورة مندمجة بين النمط البصري والحسي على حد سواء، و كان ذلك من خلال استحضار الإحساس بالسكين، وغيابه في ظل حلول حب يملك الفؤاد ويشغف القلب، واستخدام لفظة " اخرج عليهن" خلقت ارتباط لدى السامع مع كلمة يوسف، إذ إنها ارتبطت بقطع اليد وعدم الإحساس بالسكين، ورؤية يوسف وردت في كلمة "رأينه"، بالضمير من دون رأين يوسف وهو رابط عميق لا يدرك بالحس المباشر يرتبط بصورة القمر في الرؤيا و صورة يعقوب الأب في الآيات، وتبين الآيات مدى الدهشة من خلال انحراف واضح في قول النسوة: (إن هذا إلا ملك كريم)، وهذا الانحراف يفيد الهروب من الاستقامة بالمعنى السطحي وهو تقبل الصورة والمعنى الأعمق وهو عقد القلب على ما مر عليه من أحاسيس تجاه الصورة، ويعني بداية التدبير، وهذا التدبير من النسوة امتدادٍ لنفس الانحراف الذي تعرض له الفكر الداخلي، والتدبير الذي تبين من امرأة العزيز وحدها، لكن حذف تدبير الحضور، الذي ارتكز على يوسف بشكل جمعي أو فردي، وهو حذفٌ إيجابي يستر الباطن لدى الأفراد من النساء، ويتجاوز عن الظاهر بذكر رأي صاحبة القرار في القصر.

إن هذا القرار في الإصرار على الهدف من امرأة العزيز، يبين كيفية اللجوء إلى السلطة، وهو انحراف مبني على التبرير بقولها "فذلك الذي لمتني فيه"، وقد قوبل هذا الانحراف في اللجوء إلى التبرير من يوسف باللجوء إلى الله بقوله: "رب السجن أحب إلي". وقد لجأ من قبل

في قوله: "إنه ربي أحسن مثواي"[(١)] في حين انحرفت هي إلى استخدام اليد في قد القميص والتشبث به، ومثل هذه المقابلة تكون طبيعية في هذه المواقف، وتبعد الآيات الغور في المعنى القلبي لما يكون أمام النبي إذ تمكن السامع من فهم استحضار يوسف لله بالذكر بقلب مفتوح، وعليه يقابل بتصرفات لا واعية استجابة للتطابق في الاتصال، وهو تأثير مباشر غير محسوس يترجم الداخل ليهدم ويبني معاني عميقة في نفس الوقت، ويساعد على الاستجابة لأي دعوة مستقبلية من يوسف عليه السلام لهؤلاء الذين قد تعامل معهم.

إن البناء الداخلي ليوسف النبي مع مر السنين قد ظهر في هذا الموقف، إذ كان يكتسب من ربه في طفولته الوحي في المحن، والآن يتصرف على ضوء هذا الفهم؛ فيظهر على الجوارح ما دربه ربه عليه، إذ في هذه المحنة لا ينتظر الوحي وإنما يذهب يوسف إلى المصدر مباشرة من خلال الدعاء. لتكون استجابة في هذه المحنة بصرف الكيد عنه.

وفي هذه الآية يتجلى النمط الحسي المعنوي، في إحساس يوسف بالنسوة، ويفهم منه حذر يوسف من جانب وتحسبه لأي أمر قد يقع، ولو وقع حذف لحوار جديد مع يوسف فإن ما أفادته الآيات أبلغ من ذكر الحوار، إذا وضعت المتلقي أمام قلب نبي وحالة خاصة ظهرت بتجرد جلي، وقد حذفت أوصاف دقيقة للكيد والمكر في القصر أدت به للقول "أصبُ إليهن وأكن من الجاهلين".

إن هذا الوضع الدقيق الحرج في هذه المرحلة؛ جعلت يوسف ينحرف حتى في الدعاء، والطلب من الله؛ إذ طلب السجن ولم يدع الأمر إلى الله بالصرف أو شيء آخر، وهذا يعني أن يوسف انحرف انحرافاً إيجابيا مسبقاً عن الحالة التي يدعى إليها، وهذا الانحراف بعدم الاستجابة سواء كانت الحالة المذكورة مع امرأة العزيز، أو كانت الحالة المحذوفة التي تبين تفاصيل الكيد، وهذا الانحراف عن الوضع المدعو له، وعن الذوبان في هذا المجتمع يدل على إمكانية انحراف في التفكير أو التصرف في أي وقت من الأوقات، فكان ما يقابل القصر والحرية المطلقة والترف هو السجن. مع عدم تجاهل حاجة يوسف للخلوة في ذلك الوقت.

---

(١) قال القرطبي: مجلد ٩، ص١٦٥: {إِنَّهُ رَبِّي} يعني زوجها، أي هو سيدي أكرمني فلا أخونه؛ قاله مجاهد وابن إسحاق والسدي. وقال الزجاج: أي إن الله ربي تولاني بلطفه، فلا أرتكب ما حرمه.

لكن هل السجن يحقق السكن والطمأنينة ليوسف؟ أم أنه خيار بين الأمرين؟ في كلا الحالتين لا تعارض مع لجوئه لخيار السجن إذ إن الآية الكريمة ذكرت اختياره في الطلب من الله تعالى لا من غيره.

والاستجابة من الله تعالى للدعاء جاء خاصاً عن الصرف وعاماً في السجن، إذ أنه صرف الكيد وأذن بسجن يوسف، وقد قدمت الآيات الكريمة هذه الاستجابة بضمير الغائب من الله تعالى، وهو يفيد القرب الحقيقي بين الله والنبي، ويشعر بمدى نصرة الله له وهو بين الذين يكيدون به لأكثر من مرة، وتنمي الآيات النمط الحسي بهذه العلاقة لغير المرئي، وتحقق انسجاماً بين الاستجابة والحاجة المطلوبة.

فالحاجة التي يتطلبها الإنسان في هذا الموقف هي الابتعاد عن هؤلاء الأشخاص، والانفراد في تحقيق الخلوة لما يحس به الإنسان تجاه مناجاته لربه، لكن العلاقة من جهة الله تعالى تبدو مختلفة تماماً، إذ إنه ينصره من بين الناس دون أن يشعر أحد بشيء من هذا إن أراد الله، و هذا ما يعززه العتب في بيان الاستجابة لجزء من الدعاء وترك الآخر عاماً في سياق أن الكل من الله تعالى، لكن هل من الممكن الانحراف لغير السجن.

إن لآيات الله تعالى وقعها الخاص في نفس من نصرته، مما يعزز فكرة الحاجة للانحراف لديه بعد ظهورها، لكنها مختلفة عند الله تعالى، مثل هذه العلاقة بين الإنسان وخالقه تتأتى من طول المدة الزمنية وتدل على عدم نسيان الله تعالى من قبل يوسف طوال تلك المدة منذ كان طفلاً.

وقد قدمت آية الإذن بسجن يوسف بكلمة" بدا" لتدل على أكثر من مناسبة النمط البصري، فهي مع الجانب الحسي المعنوي وتفتح أفق للجانب السمعي، إذ يتمكن أصحاب الأنماط من استحضار الصورة في كلمة " بدا"، والحوار لدلالتها على الحوار الداخلي ثم استخلاص الرأي والحوار السمعي الخارجي، إذ تناقشوا في الأمر ثم سجنوه، والأفق الحسي يظهر في الاستجابة لطلبه والتعاطف معه في تلبية رغبته، وإن بدت في الظاهر قاسية عليه.

(وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٣٦ ﴾ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ

هُمْ كَافِرُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِـي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ
ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ﴿ ٣٨ ﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ
مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿ ٣٩ ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا
أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ
يَعْلَمُونَ ﴿ ٤٠ ﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن
رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿ ٤١ ﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ
الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿ ٤٢ ﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ
سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ
﴿ ٤٣ ﴾ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ ﴿ ٤٤ ﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ
أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ)

تنتقل الآيات الكريمة إلى محنة جديدة، وحياة مختلفة يعيشها يوسف عليه السلام، وهذه الانتقالة تبدأ برفقاء السجن بقوله تعالى: "ودخل معه السجن فتيان" لتحذف السورة جميع أنباء السجن وتكتفي برواية كيد[١] الله ليوسف، لذلك يشعر القارئ بدخول الفتيان لمجرد القول ونقل خبر يوسف[٢].

روى كل من الاثنين رؤيته بشكل موجز مفصل ثم عقبت الآية بقوله تعالى"نراك من المحسنين"، وهذا التعقيب لا يخدم النمط البصري فحسب، إنما يفتح المجال ليوسف عليه السلام كي ينظر لنفسه، إن هذه النظرة من خلال الآخر تفيد النزاهة في الحكم، كما أنها تبين لنا الصورة الداخلية التي يأخذها يوسف عن نفسه، وهذه الصورة تخدم النموذج خدمة مباشرة، وتبين مجريات سابقة لتصرف يوسف في كثير من المواقف، كما تكشف جزءاً من السرية في العلاقات الداخلية التي يتمتع بها يوسف عليه السلام . فقال : "إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم

---

(١) من مجمل قوله تعالى: "وكذلك كدنا ليوسف"؛ من باب تدبير الأمور.
(٢) صرف الذهن عن حيثيات دخوله للسجن وبناء العلاقة مع يوسف –عليه السلام– (جوهرية رؤيتاهما).

كافرون"، إذ أن الآية تبين الانحراف السابق نحو السجن والفكرة العامة في ذلك المجتمع.

فالأحداث التي مر بها يوسف عليه السلام، لم تزده إلا رفعة وعزة لتعزيز الصورة الذاتية. كما كشفت عن مجموع التراكم القلبي التي تحصل عليها من خلال الانحرافات الموجبة التي سار فيها طول تلك المدة. و في حفظه وصية والده في ذكره ملة آبائه الأنبياء. وتفيد معرفته بعلمه وقيمته.

إن هذه الصورة الذاتية مقترنة بالله تعالى اقتراناً مباشراً، في أفق من ينظر لنفسه ضعيف فأنجاه الله من كل محنة، وهذا يعني اكتمال النموذج في الآخر، فانتقل انتقالاً تلقائياً لله، ليصبح المدعو في الأمس داعية اليوم في السجن، فلم يندم على عدم استجابته للنساء والمجتمع، مما يعني الرضا عن هذه الصورة، ولو ندم فإنه لن يتمكن من الانتقال للدعوة إلى الله.

لكن هذه الدعوة تتبين من خلال عين الناقد، وهذا يعني سمو الصورة بشكل أكبر من الرضا، والطموح لما هو أكثر من الانصراف عن الكيد، وهي جزء من تراكم داخلي خاص بأصحاب الأرباب المتفرقين.

ومن المفيد ذلك القول قبل تأويل رؤياهم، إذ يمكن ذلك مع ذكر الله، رفض أفكار أصحاب الرؤى ودفع لرديّات التوافق والتطابق الداخلي بينه وبينهم؛ الذي يحدث بموجب الأخذ والعطاء، خاصة في تأويل الرؤى الذي يقارب قراءة الفكر الداخلي.

إن هذا الفيض من الداخل لدعوة الآخر إلى الله تعالى مما قد ألفه يوسف وتشكل معه منذ الطفولة، إذ إن لعنصر الزمن أهمية بالغة للطفل الذي علمه ربه أن سينبئهم بذلك وهم لا يشعرون، ومن قبل قد علمه يعقوب أنه في المستقبل سيكون مثل أبائه الأنبياء، فهو يعرف كيف ينظر في المستقبل بصفة النبوة، لذلك كان أبوه قد أرجع الأمر في هذه المسألة إلى الله وحده عندما قال: "يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث"، وكذلك في وحي الله له في المستقبل والآن من الطبيعي أن يعود لربه ثم ينطلق إلى المستقبل إذ رؤية الرؤيا واقعة و وصفها.

لقد عرض يوسف التأويل؛ إلا أنه قال بعد ذلك "قضي الأمر الذي فيه تستفتيان"، والقضاء هنا بهذه الصيغة يفيد الحكم الذي قال عنه تعالى:" وآتيناه حكماً وعلماً"، إذ إن السجن يُعد مرحلة فاصلة بين يوسف الفتى، ويوسف الشاب صاحب

العلم والحكم الذي لا يعرف أحد بهما، وبين يوسف الحاكم العالم الذي سيكون واضح العلم والحكم بعد خروجه من السجن.

إلا أن الرجل قد نسي، وعرض القرآن نسيانه بقوله تعالى: " فأنساه الشيطان ذكر ربه"، ولهذه الآية أهمية في بيان مكانة يوسف، وفي توضيح الرابط الداخلي الذي تسبب به لهذا الرجل، إذ إن كلمة " ربه " ذات دلالة واسعة، وهي هنا معاكسة لكلمة الشيطان الذي تسبب في النسيان، فلو ذكر الرجل ربه لذكر يوسف الموحد الذي علمه من ربه، ولذكر يوسف الحر الذي علمه لمن تكون حقيقة العبودية، فيوسف عنده مرتبط بهذه الأمور السامية إلا أن الشيطان الذي يشكل عدواً لجميع الأطراف أنساه ذلك.

(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿ ٤٢ ﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿ ٤٣ ﴾ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿ ٤٤ ﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿ ٤٥ ﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ٤٦ ﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿ ٤٨ ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ)

إن هذه المرحلة في السجن يخرج بها علم يوسف عليه السلام قبل يوسف، ليتسبب هذا العلم بخروجه من السجن، لقد دخل الملك إلى القصة دون العزيز ولهذا معنى في داخل يوسف إذ يضيف على مكتسبه إرادة الله وحده في تدبير الأمور، لكن هذا لا يعني أن المرحلة التي مر بها ليست مفيدة فهو على دراية بالمجتمع الذي سوف يحكمه، وبأحوال الطبقة العليا التي سوف يكون أهم فرداً من أفرادها.

وفي الآيات دلالة على حرف الحاشية قضية الملك في قولهم: " أضغاث أحلام..." وهو عدم الاعتراف بالجهل في التأويل، إلى اتهام صاحب القضية بالجهل.

إن هذا التأويل الذي يقدمه يوسف عليه السلام فيه كرامة للملك نفسه، إذ إن رؤياه لم تكن أضغاث أحلام، وهو تسفيه لرأيه و بيان لقوة سلطة الجمهور من الخاصة حول الملك، كما أنه قد رفض الخروج من السجن إذ إنه أرسل للنسوة وهو توافق يدل على مظاهرة الله يوسف في هذه المرحلة، وقد بدا بوادرها في قول النبي "اذكرني عند ربك"، وفي نسيان الرجل ذكر ربه، كما أن ليوسف كرامته فهو سوف يلقى الملك بصفة العالم السجين، وسبب السجن سيكون حاضراً للجميع، فهي استرداد لكرامته، أمام الجميع وحضور لشخصيته وتحقيق لنصرة الله له ولو بعد حين.

إن الانتقال في تقديم الحوار بين الملك والنسوة وامرأة العزيز يدل على حذف حوار طويل، ويبين أثر يوسف في طبيعة مربيته التي قالت من قبل "ذلك الذي لمتنني فيه"، فقد استطاع يوسف عليه السلام من إحضار اللحظة الغائبة، واستطاعت أن تختصر كلام النسوة في هذا المقام أمام الملك، حتى ظهر في كلامها معنى لكلمة الوحدانية و بدت غير قادرة على انحراف آخر،وقد تم ليوسف كيانه كاملاً في قوله تعالى: " وما أبرئ نفسي... " وهي دلالة مظاهرة لله من جانب ونصرته من جانب آخر، في فكاكه بهذه الكلمات التي تتم في كلماته مع الملك.

إن الانطلاقة التي بدت ليوسف عليه السلام أمام الملك، انطلاقة المخلص الذي لا يرضى الخيانة، إذ إن استخدام امرأة العزيز كلمات يوسف في قولها: "وإن الله لا يهدي كيد الخائنين"، فيه أدب وتعدية ليوسف أمام الملك، وهي من علامات الحكم الذي قد بدت ملامحه من قبل بظهور سطوته في طلعة وكلمة يوسف عليه السلام.

وعلى ذلك يتحتم الرجوع لمصدر هذه المكانة؛ إذ فيها تثبيت للملك نفسه في حال تمكين يوسف عليه السلام والوقوف جنبه لكونه منصوراً لا محالة، وهذا من تدبير الله الأمور ليوسف عليه السلام. لكن بما فيه حفظ لكرامته؛ لأن المملكة تحتاج لهذا العالم، والحاكم الآن وسط هذه الحاشية وغداً أمام القحط القادم.

(وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ)

لقد قدمت الآية الحوار بين يوسف والملك، ويظهر في قوله تعالى " فلما كلمه" حذف لكلام طويل، وهذا الحذف ليس لكلام بسيط يستحق الحذف و ايجابيته في إتمام حفظ السر، إذ إن الكلام يبدو منه شكل الصفقة السرية وهو يثير تساؤلات مهمة، في إجابتها تتمة الحوار من مثل: هل دعا يوسف الملك إلى التوحيد؟ هل صرح الملك

ليوسف بديانة مختلفة؟ هل صرح له بكواليس الحكم وما يعانيه؟ هل طلب من يوسف حلاً لوضع العرش ووضع المملكة؟ هل اعترف يوسف بنبوته وحقيقة أمره وسيرته؟ هل دار الكلام عن سلوك النسوة مع يوسف قبل السجن؟ هل اتفقا على أمر ما؟

لم يظهر من الحوار إلا عرض يوسف نفسه لحل المشكلة المقبلة، كما ظهرت كلمة "حفيظ". وهي صفة مشبهة فلا تشمل جزءاً وآخر لا، ولا تشمل زمناً وآخر لا. كما ظهر في قوله تعالى "ما كان له ليأخذ أخاه في دين الملك" و فيه تأييد من الله تعالى ليوسف في تَوْفِيَة(١) حفظ السر وحفظ الدين له ولذويه.

إلا أن نتيجة الحوار تمكين يوسف من قبل الملك، وهذا يعني أنه ذا ثمرة إيجابية للطرفين، إن هذا المنصب ليس سهلاً في سنين مقبلة من القحط، إذ إنه من الممكن أن يدمر الدولة كاملة أو ينقذها كاملة، لذلك فهو منصب يكفل ليوسف محبة الجميع وهذا أبلغ للنبي من أي ملك آخر، لأنه يتمكن من القلوب وليس من الأموال وحدها، وهو تفعيل حقيقي فالمنصب ليس صورياً وإشغاله ليس سهلاً وهو معنى كلمة " مكنا ليوسف" لقد عقبت الآية قوله تعالى "ولأجر الآخرة خير"، وهذا دلالة على زهد يوسف وتقواه، برغم ما يملك من الخزائن، وربط نهاية الحزن و الاضطهاد ليوسف ليبدأ حياة جديدة، فهي تقويم للمنهج في مد الهدف لأكثر من الخلاص من الفقر والاضطهاد، وهو يعني الإحسان في هذه المرحلة التي يتمكن منها الرجل من بلاغ مرتبة عالية وهو شحن جديد لهمته، وانطلاقة جديدة لرضوان الله في مرحلة مختلفة تماماً عن كل ما سبق.

﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ٣٣ ﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ ٣٤ ﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴿ ٣٥ ﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٣٦ ﴾ قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿ ٣٧ ﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا

---

(١) من معنى قوله تعالى في سورة النجم: "وإبراهيم الذي وفى"؛ آية ٣٧.

كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ
﴿ ٣٨ ﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿ ٣٩ ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء
سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ
الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿ ٤٠ ﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا
الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿ ٤١ ﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا
اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿ ٤٢ ﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى
سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن
كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴿ ٤٣ ﴾ قَالُواْ أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الأَحْلاَمِ بِعَالِمِينَ ﴿ ٤٤ ﴾ وَقَالَ الَّذِي نَجَا
مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَاْ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴿ ٤٥ ﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ
يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿ ٤٦ ﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿ ٤٧ ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ
سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿ ٤٨ ﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَعْصِرُونَ ﴿ ٤٩ ﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿ ٥٠ ﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا
عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿ ٥١ ﴾ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿ ٥٢ ﴾ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ
إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ ٥٣ ﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ
إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ ﴿ ٥٤ ﴾ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿ ٥٥ ﴾ وَكَذَلِكَ
مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ ٥٦ ﴾
وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)

لقد انتقلت الآيات من النمط الحسي السائد في قصة يوسف مع امرأة العزيز، وبناء مشاعر يوسف إلى قصة في السجن، وكان في أول انتقاله للآيات قوله عليه السلام: "قال ربِّ السجن أحب إلي مما يدعونني إليه"؛ وهو دليل على حسه المتعلق بالله، وانصرافه عن اللذة الحسية إلى العذاب الجسدي وفي كلامها يتضح تملك حب الله من قلب يوسف، إذ ما زالت المخرجات سلوكيات متوافقة مع هذا الحب لكن لم تهمل الإطلالة أياً من الأنماط الأخرى، فكان إحساسه مترجم إلى كلمات يرفعها لربه عز وجل لتعقب آية الاستجابة بقوله تعالى: " فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم"، ثم انطلقت الآيات لتصور رأيهم الأخير بتعبير: "بدا لهم"، فتتفعل الصور بالتوالي والمزج بين جميع الأنظمة مراعية الروابط التي قام عليها حوار الفرد الداخلي وحوار المجموعة، والتدخل الإلهي.

وقد دخلت الآيات الكريمة إلى ثلاث رؤى؛ السجينين والملك، وقد حققت الرؤى الثلاث جميع الأنماط وعرضت لها بطريقة عجيبة، إذ كان في درج الحوار العام صور للنظام الحسي المعتمد على الذوق، ولو لم تعمد الآيات إليه مباشرة؛ إلا أنها جعلته يناسب الجميع، وينسجم مع الجميع فقد وردت "قال... أراني.. أعصر خمراً" وقال... أراني.... أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه". وهي الأنماط الثلاث في مقولة كل منهم، فلا يجد صاحب أي نظام سائد جفوة في النص، وعدم انسجام إذ يتخير ما يشاء، فينشئ صورة أو حوار سمعي بينهم أو ينشئ حساً بعصير الخمر أو وزن الخبز أو حتى الإحساس بالطير التي اقتربت وباتت تأكل من الخبز الذي فوق الرأس. والآية تنوه بشكل الإحساس بالشيء في قولهم: "إنا لنراك من المحسنين".

وانتقلت الآيات لكلام يوسف عليه السلام وهي مليئة بالحس في قوله: "يا صاحبي السجن... "، و: "لا يأتيكما طعام ترزقانه"، وفيه حضور حسي واضح للجوع الذي يعانيه الأصحاب والأحباب في السجن، ومدى قيمة الطعام في ذلك المقام، كما قدمت لفظة العبادة لغير الله بالأسماء والكلمات المبتكرة التي من الممكن استحضارها، كما تقدم الحس بالألم تجاه الرجل المصلوب والطيور الجارحة تأكل من رأسه في حوار هادئ وصوت خافت بين الأصحاب في قوة السجن.

إلا أن الرؤيا التي رآها الملك قدمت بشكل مختلف، إذ برغم كلمة "يأكلهن" لم تأخذ الآية الطابع الحسي، وقد غلب عليها الطابع البصري إلا أنها ليست بصرية

سطحية إنما صورة عميقة جداً، تلائم الطابع الحاد عند صاحب الحكم، لذلك برغم غياب دقة النمط السمعي إلا أنه يتضح في النبر المتخيل من الحاكم، وفي صوت الكهنة الذي بدا بارداً و فاتراً أمام جدية الملك، وقد عوضت السورة عنه بجعل الرؤيا صورة عميقة، وبكلمة "تعبرون" وما فيها من حركة ملائمة للأنماط الثلاث، كما أشبع التأويل النظام في وصف الجوع وسنينه، و مشاعر الخوف التي ترجمت بالتوفيق في الصرف والفرح. (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

استمرت الآيات بعرض قضية يوسف في الخروج من السجن، ورفضه الخروج قبل ظهور براءته واعتراف النسوة، وقد قدمت الآيات بلفظة: "راود" من جديد، وما تحمل هذه اللفظة من معاني الحركة والحس وتفتح أفق الخيال لإنشاء ما شاء من الأنماط في ضوء رواية المرأة، وتعقب الآية بتعبير "لمن الصادقين"، لتصف كلامه وقلبه وتصرفه في آن واحد.

تلت هذه الآية إخلاص المرأة ليوسف في السجن بصيغة الحب المفرط ليدل على قلبها، وكيف جعلت لنفسها قيداً في حبه؛ وهي حالة خاصة بها مليئة بالمشاعر، يستطيع المرء تخيل صورتها و تحديد تفاعلها الداخلي في الحديث عن يوسف إذ يغلب عليها النمط الحسي حتى في نظرة العينين في هذه الآية، وهي تنظر للأسفل استجابة للمشاعر التي ارتبطت بصورة يوسف مع أن الصورة متذكرة بالنسبة لها، وتصريحها في تبرئته من سبب سجنه.

إن هذه النمطية تنتقل إلى الملك الذي يشعر بالظلم الذي حل بالسجين برغم سمو منزلته، مما يمكن يوسف من قلب الملك فيكون مقتنعاً لما ظهر له من العلم وبرؤيته الثانية، رجلاً وأهلاً للمسؤولية على المملكة؛ كي يتصرف في طريقة تخزين القمح لما يأتي على المملكة من قحط، ليتمكن في هذه السطوة من الملك عندما يتحدث معه فيمكنه تمكيناً عظيماً، ويمتعه بصلاحية مطلقة في قوله: "إنك لدينا مكين أمين". إن هذا المزيج من الأنظمة يفعل دور السامع ويفتح الأفق للرقي الفكري الفردي من خلال تقويم الفرد، والجماعة في تولية الرجل المناسب.

(وَلَأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ).

تتوالى الانتصارات ليوسف عليه السلام وتشكل الآيات فصلاً تقديمياً، لحياة إنسان جديد بيده السلطة والحكم، عنده حاجات الناس في سنين طوال، وهذا التقديم يؤكد تأييد الله تعالى له، في حين حذف كلام معلوم لدى السامع في الإقرار المباشر لوقوع التأويل، وهذا تقديم مباشر للسامع إذ يربط تلقائياً بين تأويل يوسف عيه السلام وتصرفاته وتسيير الله الأمور، فيدل على حضور مباشر لله تعالى في حياة النموذج مما يعني تمام النموذج وتقويم السامع في تفعيله في القصة.

إن هذا التوالي يظهر من خلال استكمال قصة يوسف وأخوته؛ لذلك تم حذف لكلام طويل عن حياة القحط والمعاناة في أرض فلسطين وكل الأراضي التي حول مصر، كما حذف قصد الآخرين لأرض مصر في هذه السنين وهذا يعني شيوع اسمها واسم العزيز في ذلك الزمان.

وتدل الآية على الزمن الطويل الذي مر على رؤية يوسف لإخوته إذ يعرفهم فقد كانوا فتية ولم يتغيروا كثيراً، في حين أن الطفل كبر وتغير، وقد وردت لفظة "فعرفهم... منكرون" والمعرفة تتعدى لأكثر من غرض، والإنكار تعريضاً بهم فلفظة الإنكار يرتبط بإنكارهم لأخيهم من قبل، وهكذا ترتبط أجزاء القصة بحضور الجميع لكن بصورة مقلوبة فالقوي ضعيف والضعيف قوي.

تدخل الآيات على الغرض الرئيسي وتحذف طريقة دخولهم عليه وسببه، فلم يقل دخلوا مصر، وهذا يعني حرف السامع عن سبب القحط والجوع إلى القصة الرئيسة وهي يوسف وإخوته؛ فينتقل السامع إلى ذلك الموقف متجاوزاً التشتت الذي يحدث بموجب التفاصيل برغم كثرة الاحتمالات في دخولهم عليه.

كما تنتقل الآية لتصرف يوسف معهم دون عرض طلبهم أصلاً، وهذا حرف أدق ينقلنا إلى كيد يوسف بهم، وتصرفه معهم استكمالا للجفوة التي حصلت منهم من قبل، إلا أن الآية تدل على حوار دار بينهم، قد أدى هذا الحوار إلى كلامهم عن أهلهم وعن القحط وعن أخيهم، فانتقلت الآية لقول يوسف مباشرة، وحذفت قولهم لأنه معلوم لدى السامع معرفة يوسف بأخيهم،

وهذا الحذف يجعل يوسف عليه السلام محورياً بالقصة يسير أحداثها، في حين تخفف من محورية شخصيتهم في التفاعل مع القصة.

وتبين الآية أنهم أبناء لأمهات متعددة وأب واحد، وتبين الآية الحوار المحذوف وكلامهم الطويل في وصفهم أهلهم بقول يوسف: "ائتوني بأخ لكم من أبيكم"؛ وهذا القول بالنسبة لهم دليل على صدقهم، فإذا ثبت صدقهم يوفي لهم الكيل.

إن هذا الأسلوب يفيد غيابهم، ويدل على فعالية الله في توجيه الأمور مما يؤدي إلى تقويم السامع في ربط الأحداث بالله عند حذف السبب، وهو تنمية لمعانٍ قد ذكرها يوسف عليه السلام من قبل، وهو يدلل على آية من آيات الله تعالى ليوسف عليه السلام أكثر من تدليله على المسببات والعلل.

لقد استخدم النبي يوسف عليه السلام أسلوب المطابقة في الإقناع وبلوغ الهدف، فقد تحدث معهم عن حاجتهم وانطلق من داخلهم ليصل بهم إلى الموافقة على إحضار أخيهم، وقد قدمت الآية بلفظة "ترون، وأوفي، المنزلين، تقربون" وهي أنماط بصرية حسية، تلائم تطلعهم إلى حاجتهم و قيمتها في نفوسهم. إلا أن لفظة تقتربون تدل على ربط حاجاتهم به خاصة، وهذا ينوه بتدبير يوسف الأمر مع الذين يعملون على توزيع القمح تجاه هؤلاء الأشخاص.

(قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) الآية: ٦١

إن رأيهم في هذا العرض لم يظهر منه أنه موجه ليوسف عليه السلام يقيناً، إذ أن لفظة "قالوا" تحمل أنهم قالوا بين بعض لما لهم من سر قديم، وتتجنب الآية الكلام عن الأب أمام يوسف عليه السلام، كما تختصر الرحلة الطويلة إلى أرضهم والحوار الذي دار بينهم حول أخذ أخيهم من أبيه وهو معلومٌ لهم ولا داعي لتفصيله، ويدل هذا الأمر على عدم تغيرهم عما عزموا عليه سابقاً برغم السنين الطوال. وردت الآية بقولهم سنراود وهي متكررة في القصة تلائم آفاق النظام بعناصره الثلاث، وكثرة الكيد في قصص يوسف عليه السلام.

يدرك يوسف عليه السلام أنه يتعامل مع موحدين فالنمط الفكري والسلوك يختلف عما ألفه في مصر، فكان أن رد بضاعتهم إليهم حتى يضمن عودتهم في جميع الحالات إلى مصر، فيعيدون البضاعة، وهذا سبق آخر من يوسف عليه السلام للزمن في اتهامه بالسرقة بقضية مشابهة لهذه القضية قد حصلت معه[١]، وتتكرر القصة في الصواع فينبئهم بما وعد الله من قبل.

---

[١]= قال القرطبي: في المجلد التاسع، ص٢٣٥: قوله تعالى: "قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" اقتدى: أي اقتدى بأخيه، ولو اقتدى بنا ما سرق؛ وإنما قالوا ذلك ليبرؤوا من فعله، لأنه ليس من أمهم؛ وأنه إن سرق فقد جذبه عرق أخيه السارق؛ لأن الاشتراك في الأنساب يشاكل في الأخلاق. وقد اختلفوا في السرقة التي نسبوا إلى يوسف؛ فروي عن مجاهد وغيره أن عمة يوسف بنت إسحاق كانت أكبر من يعقوب، وكانت صارت إليها منطقة إسحاق لسنها؛ لأنهم كانوا يتوارثون بالسن، وهذا مما نسخ حكمه بشرعنا، وكان من سرق استعبد. وكانت عمة يوسف حضنته وأحبته حبا شديدا؛ فلما ترعرع وشب فال لها يعقوب: سلمي يوسف إلي، فلست أقدر أن يغيب عني ساعة؛ فولعت به، وأشفقت من فراقه؛ فقالت له: دعه عندي أياما أنظر إليه فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق، فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت = منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها ومن أصابها؛ فالتمست ثم فالت: اكشفوا أهل البيت فكشفوا؛ فوجدت مع

(وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿ ٦٢ ﴾ فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿ ٦٣ ﴾ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿ ٦٤ ﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿ ٦٥ ﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿ ٦٦ ﴾ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ).

إن عودتهم إلى الديار والرحلة التي ساروا فيها، جاءت بلفظة رجعوا إلى أبيهم وهي تؤدي الغرض نفسه في قوله تعالى: " دخلوا على يوسف.." وفي الحالتين معنى للمكانة والموافاة، إلا أنهم في الأولى لطول الزمن وغياب العقل لم يشعروا بموافاتهم ليوسف، لكنهم عند أبيهم معلومٌ لديهم الموافاة، وإن هذا يدل على عدم تجاوز يعقوب لأولاده في العثور على يوسف عليه السلام، لذلك ما زالوا يحولون بينه وبين يوسف.

إن هذا الحذف في مجمل الأحداث يكمل وجه يوسف في أبيه، ويدل على مكانة مختلفة ليوسف عليه السلام عند أبيه يعقوب في النبوة. ويساعد يوسف عليه السلام إخوته في إقناع أبيهم من خلال رد البضاعة إلى رحلهم.

تناسب لفظة "انقلبوا" كلمة "رجعوا"، وهو رقي في النمط اللغوي مع الفتية الذين يأمرهم يوسف، وتجاوز منه إلى كنه الأحداث أكثر من حسها المادي، ويتغير الكلام البسيط الذي كان يقدمه يوسف لتركيب أعقد وأبلغ في هذا المجال، وهو دلالة المعرفة العميقة بأحوال أهله في البدو برغم السنين التي مرت.

برغم تشابه القصة التي أحدثها يوسف عليه السلام مع قصته، إلا أن النمط الذي قاد إخوته ذو مصداقية، فهم لن يكيدوا بأخيهم وهم مع أبيهم صادقون، إن هذه النقلة التي أحدثها يوسف عليه السلام تمثل نقلة للنفس والعقل قبل الجسد، فهو

يوسف. فقالت: إنه والله لي سلم أصنع فيه ما شئت؛ ثم أتاها يعقوب فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذلك، إن كان فعل ذلك فهو سلم لك؛ فأمسكته حتى ماتت؛ فبذلك عيره إخوته في قولهم: "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل" ومن ههنا تعلم يوسف وضع السقاية في رحل أخيه كما عملت به عمته.

يستحضر قصة في أذهان الجميع من خلال هذا التشابه، إلا أنه يقوم تلك النفوس المنحرفة، ويسحبها من مكان الانحراف ليطهرها بشكل تام ويقومها بطريقة النبي لا العدو المنتقم، وبعدها نقل الأجساد من البدو إلى مصر. يقف الإخوة أمام أبيهم بصدق وهذه مرحلة فكرية داخلية، تفرض من خلال فرض السلوك الصادق عليهم، فالتقويم معاكس، إذ سيكون من السلوك إلى القلب، ولا بد أن يمر بالانحرافات السابقة، إذ من أهم مسالك القلب عندهم السر العظم الذي مضى عليه كثيراً ولم يفشه أحداً منه، وهذا الزمن يعني تراكمات؛ من أثرها التصرف على ضوء هذا الانحراف كما لو كان حقيقة.

إن هذا الحذف في الانتقال إلى موقف الأب مباشرة يعني حضور يوسف معهم عند أبيهم كأنما تدور الأحداث في بيت واحد أو في غرفة واحدة، و هذا ما يضفيه النص القرآني، إذ استطاع أن يقدم قصة الأسرة كما لو كانت من أسرار البيوت برغم طول المسافة و التشتت الأسري الذي أحدثه الأبناء، فهو لا يقوم نفوس الأفراد فحسب، إنما يلم شمل الأسرة الممتدة من جديد.

تتغير كلمات النبي يعقوب في هذا الموقف تغيراً نحو الأفضل لما يعتقده، وهذا النمط في العبارات يبين موقف يعقوب ومكتسبه الزمني من القصة القديمة في فقد يوسف إلى هذا الوقت، فبرغم ارتباط هذه الدخلة عليه وهذا الطلب بيوسف عليه السلام، إلا أنه بدا أقوى من السابق رغم ظاهرية الضعف في كلماته، فهو لم يجادل أنباءه ولم يأتِ لهم بقصة الذئب ليعتذر منهم، لكن قال: " الله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين"، إن هذا القول أبلغ في تسليم يعقوب أمره لله، وعدم الاتكال على الأبناء أو غيرهم في حفظ أي شيء، وإنما استودع ولده عند الله، وقد استودع يوسف عليه السلام من قبل لكن ظهر ذلك بعد فقدانه عندما قال: "صبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون"، ليكون هذا النمط مختلفاً عن السابق، إذا لم يبدُ أنه ظن أن الله ضيع له وديعته يوسف عليه السلام، فهو في أمل لقائه. وهذه الكلمات تمثل دعوة من يعقوب لأبنائه وتعليماً لهم، وفيها تحدٍّ لهم في صرف الحفظ والقدرة لله تعالى، وكما أنها استجابة طبيعية لذكره يوسف عليه السلام، ووقفته إلى جانبه.

وفي قولهم: " يا أبانا ما نبغي" إقناع لأبيهم في حال كانت ما الاستفهامية أم النافية من البغاء والبغي، فهو دليل على صدقهم فيما يقولون عن العزيز، واعتباراً منهم لرأي أبيهم في اتهامهم بالتفريط في يوسف عليه السلام، والمحذوف من الآية في

شأنه أحوالهم وأمتعتهم وراحتهم، يفيد ارتباطهم بالفكرة مع أبيهم، فهم طوال هذا الوقت منشغلون في هذه القضية العارضة الطارئة، وهذا الحذف يفيد وحدوية الموضوع واستمرار حضور يوسف عليه السلام في القصة.

لقد طلب يعقوب عليه السلام موثقاً من الله من أبنائه، فقال تعالى " فلما آتوه موثقهم" وبهذه الحالة يتحطم جزءٌ هام من الارتباط ا لسابق بالموقف المشابه ليحل الصدق وحضور ذكر الله تعالى مكانه، وهذه المفارقة وردت في تخصيص الموثق بهم؛ فلم يقل فلما أتوه موثقاً من الله، وهي دلالة قلبية عميقة تعرض بالباطن، وهي معلومة لموقع السر السابق والإصرار على عدم المصارحة به للآن.

في هذا الذكر ليعقوب لله تعالى وليوسف عليه السلام مع إخوته، تغير من جانب الأب في جمع الأبناء وفض الخلاف، إذ عاد وقال: "يا بنيَّ لا تدخلوا من باب واحد... "وهذا يعني رقة في القول، وإظهار محبة لجميع أبنائه، وهو التغير الذي يشكله الأب بالصفة المحورية في العائلة، إذ سيتعدى يوسف كل السابق ليقول: " لا تثريب عليكم.."

قدمت الآيات القرآنية حواراً عاماً متشعباً، يحافظ على نسق واحد في ظل عرض انحرافات متعددة ومحذوفات شتى لتقويم المستمع بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وقد جعلت الآيات القرآنية الأبناء بين نموذجين يوسف في مصر، ويوسف الشيخ – يعقوب – في البدو، فكان يتوافق الارتداد المكاني الحقيقي في رحلاتهم مع الارتدادات النفسية في أعماقهم، وقد روت القصة في ضوء تهيئة يعقوب للقاء يوسف عليه السلام، من خلال التذكير به واستعادة الأمل في لقائه.

ومع وضوح النمط السمعي في الحوار المتعدد، إلا أن الآيات لم تهمل أي جزء آخر، فقد قدمت هذه التفاوتات النفسية والأحاسيس الدفينة بما يناسب الصورة العميقة في القلب والنمط الحسي في أفئدة العائلة، إذ تحضر الأحاسيس عند يوسف عليه السلام في رؤيته لإخوته وعدم البوح لهم عن نفسه، وفي ذكره لأخيه وأبيه وحرصه على عودتهم له في غياب أحاسيسهم عن أخيهم الغائب، وتكرار الطلب من أبيهم لأخذ الأخ الآخر، كما تذكر الآيات عاطفة يعقوب التي تتراوح بين الحرص والحزن على أبنائه جميعاً، وتبين مدى حبه ليوسف عليه السلام في ظل صورة عامة تبين ملامحها في حركاتهم، ودخلوهم، وفتح بضاعتهم وشغلهم بالخلاص من الجوع

الذي حل بالمكان، إن هذا الاندماج يفعّل السامع ويفتح له باب الإنشاء في عواطف وصور وأصوات، مما يجعله مهيأً لأي تغيير وأي تعديل، وقريباً أكثر من النموذج في جميع حالاته.

فلا تتجاهل الآيات حاجات النفس من التهيئة قبل التقويم والتثقيف، وقد بدا غير مباشر في قول يعقوب: "الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين"، وفي قوله: "الله على ما نقول وكيل".

إذ يتعدى النموذج مرحلة هامة وحساسة، وهي مرحلة المغفل الذي لطالما خدع، ليكون المقدم والمعلم، ليكون الواعي أمام سخافات الآخر فيتحتم الرقي للنموذج والسامع في قوله: "ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون".

ورد فعل الأمر للنموذج في المرحلتين: في مصر وفي أرض فلسطين، على لسان يوسف ولسان يعقوب، وهي ظاهرة التقويم في وصف مكانة الصديقين وأصحاب الغلبة.

(وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴿ ٦٨ ﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَاْ أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿ ٦٩ ﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿ ٧٠ ﴾ قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿ ٧١ ﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ ﴿ ٧٢ ﴾ قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿ ٧٣ ﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿ ٧٤ ﴾ قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿ ٧٥ ﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ).

تعرض هذه الآيات أمراً هاماً في دخول الأبناء مصر، إذ إن هذه الدخلة لم تذكر من قبل، وإنما ذكر دخولهم على يوسف مباشرةً ومن ثمَّ رجوعهم لأبيهم، والسبب في ذلك حاجة يعقوب التي قضاها، وتبين ثمار هذه الحاجة في تأمين ابنه عند

يوسف وكان قد أودعه الله من قبل، واللطف بين الإخوة في تصرف العزيز معهم. فيكون جنّبهم البؤس وبدد الغيظ عنهم.

لذلك كانت هذه الآية مستقلة تستأنفها آية: "ولما دخلوا على يوسف" من جديد، وهذا يدل على تلبية حاجة يعقوب من الله تعالى، فتفتح الآية مكاناً جديداً للسرية في التصرفات لكنها بصورة مغايرة، فصاحب السر هو يوسف عليه السلام وهو صاحب الكيد.

لم يكن هذا الكيد عبثاً، ولم يكن في جعل السقاية وذكر الملك إنباء لهم بأمرهم مع يوسف عليه السلام وهم لا يشعرون فقط، إنما لعلم يوسف عليه السلام بشأن الملك الذي التقى مع أخيه من قبل في محبة يوسف عليه السلام، وفي التساؤل عن حال هذا العزيز كما من علمه حال القهر عند إخوته العشر رجال، إذ إنه يعلم التأويل ويرى ما شاء الله له أن يرى من قبضات الزمان وطيه، فحضر حال العداء والتنافس بين الملك وأخي يوسف عليه السلام مع الحفاظ على الوضع الآمن، كأنما حقق رؤية بطريقة ذكية. وسحب أخاه من أبيه كما في ظن أبيه والآخرين إلى دين مصر حيث (هو) العزيز بها.

وكان من كيده أن جعلهم كاذبين و هذا يمثل اعترافاً بالكذب، وهذا يعني الرجوع إلى نقطة البداية لتحقيق انطلاقة صحيحة صادقة مبنية على أساسٍ متين.

لقد قدمت الآيات الكريمة صورة عامة في دخولهم مصر ودخولهم على يوسف، من قبل أن تعرض لأي حوار، مما جعل للآيات الأولى طابعها الخاص في مخاطبة السامع مباشرة من خلال وصف الحركات، والتصرفات تم دخلت بشيء من الحوار في قول يوسف لأخيه:"لا تبتئس"، و قوله: "ثم "أذن مؤذن".

ومن أهم العبارات والألفاظ الحسية قوله: "حاجة في نفس يعقوب، وآوى إليه أخاه، ولا تبتئس"، وهذه الألفاظ أضفت توجيهاً مباشراً للحس في الإيواء ووصف قوة يوسف عليه السلام في تحمله السر وتصرفه بشكل مختلف، وهو ثبات منه في موقف اضطراب، إن هذا التوجيه يمثل صورة خاصة للتصرف في مثل هذا الموقف، إذ إنه قال لأخيه: "لا تبتئس بما كانوا يفعلون"، وهذا حس الغضب في نفسه، ودافع لحضور شكل الثأر لما حل به من قبلهم.

مع ذلك تقدم الآيات النمط السمعي بصوتين متناقضين، الأول: قول يوسف لأخيه بسرية: "لا تبتئس"، والثاني: هو الصوت العالي الذي يحل محل الثأر وهو قوله

تعالى: " وأذن مؤذن بينهم أيتها العير إنكم لسارقون"، ولم يقتصر الدمج بين النمطين في هذه الشاكلة إنما تعدى لأكثر من ذلك في قوله: " أيتها العير"، وهي ليست أدباً من المؤذن فحسب، وإنما تنتقل من النمط الحسي إلى العلاقة الحسية القلبية، إذ إنه جلب ضالتهم؛ لأن العير محط الضالة لمن عزم على السفر كما أنها موطن كرامة صاحبها البدوي الذي يواجه من خلالها أعباء السفر. لذا فإن هذا الصوت أبلغ في النفس، ويبقى مسموعاً لفترة أطول من اللحظة، والإحساس به مع الزمن أعمق في القلب، وقد شكل هذا النداء حركة بدت وكأنها تلقائية في قوله: "أقبلوا عليهم"، لذلك انفك السفر عن أخيه وعن أخ آخر له.

إن في قولهم مع إقبالهم: "ماذا تفقدون" أهمية في الكشف عن جوهرية قلوبهم، إذ إن محبة عزيز مصر وأهلها باتت راسخة في نفوس الإخوة، كما كانت محبة الإخوة راسخة في نفس يوسف.

واستمر عرض الصورة بحوار متداخل، ليكون كل من الحوار والصورة المنقولة والحس المتفاوت ذا أهمية من الصعب أن تترجح إحداهما على الأخرى، ويعرض الزمن بطريقة عظيمة في وصف كيفية استخراج الصواع، إذ بدأ بالأوعية وكان آخر الأوعية وعاء أخيه، و لهذا فإن النهاية كانت مصادقة ليوسف ونصرةً له، وفي هذه الفترة طمأنينة في قلوبهم أنه لا يعقل أن يسرق هذا الأخ، فكانت صدمة جديدة لهم.

وهذه الصدمة هي التي كشفت شكل الانحراف في قولهم: "إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل"، فيتمكن في هذه اللحظة غير الواعية منهم أن يقول: " قال أنتم شرٌ مكاناً والله أعلم بما تصفون"، فيكون قد نبأهم بأمر هام- قد وعده الله إياه من قبل- وهو مكانة الإخوة عند أبيهم، ومنازلتهم في أرضهم وبين أهلهم؛ فاستطاع ذلك من وقفته لجنب أخيه، والحصول على موقفهم المعادي له، وموقفهم المعادي ليوسف من قبل لكن في مكان هو الذي يتحكم بأحداثه.

لقد توالت الأنماط في مزيج واضح في هذه الآية، فالمكانة معلومة للفؤاد كما أن الحوار ذو نزعة صوتية بارزة في المشادة الكلامية بينهم، كما استخدمت في قوله: "لم يبدها لهم" طابع بصري واضح، إلا أن استخدامه للمكانة بات مشوباً باللطف هذه المرة، إذ استطاع من هذا الجانب الذي يمثل سبباً في أول المشاكل بينهم، أن يزعزعهم و هذا المكان مألوف لهم بالقوة، فكانت هذه الصفعة هزة تتخلل الإخوة فيفقد كل منهم موضعه فيها، وهذا يعني اختراقه

للمجموعة، لكن هذا التغير سيؤدي إلى منعهم من العودة للانحراف سواء أقر يوسف المكانة أم نفاها؛ ليعرض القول عليه من جديد لكن يتجاوز الأخوة موقف الانحراف التدريجي بالاتفاق والكيد الذي لا وقت له، لما اعتادوه واتفقوا عليه من قبل، وهو الرجاء والإقناع بالمراودة لما يريدون.وهي في هذا المقام مع يوسف وليس مع يعقوب، وهي هنا صادقة وليست كاذبة، فيكون قد طهر قلوبهم وحقق تغيراً عميقا لأكثر من مرة، وهي مساعدة وتمهيداً للتوبة وهذا الجمع في الخطاب تحقيقاً لقوله عز وجل: "ما كان يغني عنهم من الله شيئاً".

(قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) آية ٧٨[١]

في هذه الآية يظهر التغير في نمط خطاب الأخوة، وهو ما أحدثه التغير الأول في حرفهم من الكذب، وفي جعلهم ينطلقون انطلاقة صادقة صحيحة، إذ يأخذ الخطاب طابع الخطاب العاطفي الصادق ويغلب عليه النمط الحسي في ما يحقق من رجاء استجابة لعاطفة الخوف والحزن على الأب الشيخ، كما أنه يحقق تراجعاً عن موقف القوة في اجتماعهم ليشكل يوسف عليه السلام رابطاً جديداً عندهم مناقضاً لما ألغوه منه في الماضي، مما يدل على عزته لأكثر من مرة، في حين أن معرفتهم به من أول مرة تحتم عليه تصرفاً قاسياً معهم – ربما يحول دون اجتماعهم من جديد ليحقق ما قام به هذا الموقف.

إن ذكر يعقوب في هذا المكان يسد الطريق على غضبة يوسف عليه السلام، و ينقله لموقف آخر جديد تستجيب فيه عاطفة الأب، ويبدل الكراهية إلى محبة، مما يجعل الطابع العائلي وعواطف الأخوة تحضر في هذا المقام، فيتغير معها النمط الخطابي لتخف حدته وسط تفاعل حسي سمعي بين، فيتغير النبر ليذكر النبي ربه عز وجل، وينتقل إلى الكلام بالإقناع في قوله: " معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده".

يحقق يوسف عليه السلام نجاحاً في انحرافه عن البوح لهم بشأنه عند ذكر يعقوب عليه السلام، كما يتلفظ بما يوحي بمشاعر وأحاسيس مختلفة لأخيه في قوله: " إلا مَنْ وجدنا متاعنا عنده"، مع أن هذه الألفاظ تحمل تورية إلا أن الجزم في التورية يظهر فيه شيئاً من التعسف، لكن الإحساس بالطابع العام بين، ويحاول أن يستمر في ستر نفسه وأحاسيسه، فيظفي على الحوار منطقية في قوله: "إنا إذا لظالمون".

---

[١] لم يرد اسم العزيز لغير يوسف عليه السلام، إذ قال: "اجعلني على خزائن الأرض" و "استخلصه لنفسي"، وسردت الآيات الحفاظ على كرامته وعزته في غير موضع. نحو رفض خروجه من السجن قبل إظهار الحق.

وهي مجموعة من الانحرافات الداخلية الإيجابية ليوسف عليه السلام، تجعل القضية تسير في الطريق الآمن وفق ما يرتضيه يعقوب عليه السلام. ويمكن تأويل هذه الانحرافات بالتجاوزات من خلال القول بتغير الموقع إذا ما أخذنا النموذج كل متكامل.
إذ يرتقي النموذج للوضعية المثلى من خلال هذا التغير، ويعكس الشكل المثالي لسرعة البديهة، حسن التصرف.

(قَالَ مَعَاذَ اللّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذاً لَّظَالِمُونَ ﴿ ٧٩ ﴾ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيّاً قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُواْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقاً مِّنَ اللّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّىَ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿ ٨٠ ﴾ ارْجِعُواْ إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ﴿ ٨١ ﴾ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ)

إن هذه الآيات تتداخل بطريقة تؤكد فيها وحدوية الموضوع، وتعكس من خلالها قراءة أبعد للنص، وأفق أوسع من تأطيرات النظام التمثيلي.
تبين الآيات حذف حوار مفاده عدم القدرة والفشل في إقناع العزيز بإطلاق سراح الأخ الأصغر. إذ تتصدر بقوله تعالى: " فلما استيئسوا منه" وهي دالة على ذلك.

وتقدم الآيات الكريمة موقف الإخوة عندما خلصوا نجياً، والميزة في هذا الاجتماع انفكاكهم عن الكذب، وتحقيق انطلاقة صادقة لهم مما يعزز لديهم ملاقاة الواقع ليهيئهم للاعتراف أمام أنفسهم والآخرين بخطئهم، وهذا الاجتماع تتحد فيه مجموعة من العناصر التي ساقتها الظروف ليحضر الموقف السابق؛ فمن أهم ما جاء على لسان كبيرهم قوله: " ومن قبل ما فرطتم في يوسف..."، وهي مشاكله نفسية تكشف داخلية إنسان معقدة التركيب مضطربة، إذ تبين الآيات هذا الحوار السري بين الأخوة وهذه الكلمات بما يعكس هذا الطابع الغامض؛ إذ إن إحساس هذا الأخ بهذا الموقف الذي يحتاجون له، وهو أن يكونوا صادقين، وأن يكونوا مظلومين في الوقت نفسه يشعر بحبهم للوصول إلى نتيجة واحدة في القصتين وهي الصدق والظلم، و إن هذا الاضطراب الداخلي يحول دونهم ودون الانحراف كما في المرة السابقة؛ لأن الموقف اليوم مفروض عليهم فهو إن بدا أنه يؤدي لإنحراف سلبياً، أو يعزز الانحراف السابق إلا أنه يحط روابط داخلية من خلال حاجتهم له ويغير مسارات البناء القلبي، فتصبح قلوبهم أكثر ليناً من ما انعقدت عليه كما يشتهر من القول.

واستكمالاً لنظرة النص على أساس كليات النموذج؛ فإن هـذه الكلمـات التـي يـتكلم بها الأخ تمثل رأي المجموعة، ويوضح هـذا الـرأي مقولـة: "علـى قلـب رجـل واحـد" وطريقة الخطاب في قوله تعـالى: " وواعـدناكم جانـبَ الطـور الأيمـنَ"، بالتجـاوز عـن تفصيلات العموم في القولين.

لا يتنافى هذا مع التـشتت الـذي حـدث للمجموعـة ويـنعكس ذلـك مـن خـلال وحدوية الرأي المفروض، وتعدد الأماكن لمواجهة الموقـف، وتبـدو مـن خـلال قـول الأخ "لي" بصيغة المفرد في قوله تعالى: " فلن أبرح الأرض حتـى يـأذن لـي أبـي أو يحكـم الله لي وهو خير الحاكمين"، وقوله: "ارجعوا الى أبيكم " كما أنهـا ذكـر لله تعـالى فهـي إيعـازٌ بالتوبة وانطلاقة صحيحة في القول والعمل تعكس التغير الداخلي.

لم يتبين من هذا الحوار السري إلا قول الأخ الأكبـر وهـو مـا انطـوى عليـه رأي المجموعة، لذلك حذفت أي محاولات أخرى وكان هذا هو الفصل.

وتعرض الآيات هذا التشتت بين المـوقعين بـانحراف لحظـي يمثـل هروبـاً مـن المسؤولية تجاه السرقة، وهو في قولهم: " إن ابنك سـرق" وقـد قـالوا مـن قبـل: " أرسـل معنا أخانا نكتل "، ولم تظهر هذه النسبة للأب من قبـل، إلا أن الحـضور للقـصة الـسابقة يتبين من قولهم: " واسأل القرية التي كنا فيهـا والعيـر التـي أقبلنـا فيهـا"، وهـو اتـصال داخلي مع أبيهم ظهر في قولهم مـن خـلال وضـع احتمـالٍ كبيـر فـي عـدم تـصديقهم وقبولهم لهذا الاحتمال ومناقشته، مع أن في قولهم اسـتدلالاً علـى صـدقهم، وكأنـه تحقيـق لما حدث معهم من تغير ليقفـوا مـع أبـيهم علـى نقطـة واحـدة، إذ تحقـق القـرب مـن مصارحة الأب بقضية يوسف لاسيما وقد ظهر هذا القرب فـي ذكـرهم لـه، وبـوادر النـدم على تفريطهم به.

تعرض الآيات الموضوع في مزج الأنظمة الثلاث في ظـل حـوار خـاص يحظـر معه الصوت الخافت للمناجاة الملائم للـسرية، ومـا يناسـبه مـن إحـساس عميـق يكـشف انعقادات قلبية قديمة، ويوعز بندم على أفعال قديمة فـي ظـل مـصارحة للأحاسـيس، تكـاد تنهار لما حل بها من يأس كما في قوله تعـالى: " استيئـسوا منـه" بعيـداً عـن الانحـراف المتعمد والتدبير المسبق في حضور واضح للزمن القديم، وغـامض فـي قـولهم "ومـا كنـا للغيب حافظين" ولا تهمل الآيات الصورة البـصرية للحركـة البطيئـة المتثاقلـة كمـا فـي قوله: " لا أبرح الأرض..." مع الحفاظ على الصورة العميقة المنشأة للحوار الكلي.

(قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ {٨٣} وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ {٨٤} قَالُواْ تَالله تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ {٨٥} قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ {٨٦} يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) .

كما تبين الآية الثانية والثمانون توالي ثلاثة ألفاظ في درج الكلام وهي أسأل وأقبلنا وصادقون " ويتخصص الكلام للقرية والعير.

ولم تناقض الآية في قولهم "العير" الآية السابقة، إنما تبين حضور يعقوب النموذج في قولهم: " أيتها العير"، من قبل؛ وهي نقلة اندماجية رائعة لا تشعر السامع بالحذف برغم وضوحه، فلم يقل لما جاءوا أباهم قالوا، وإنما قدم رد يعقوب مباشرة في الآية التي تليها، وكأنما كان معهم وهم يتناجون، وهي مناسبة لكلية النموذج في الحالات الثلاثة: السورة النموذج يوسف الطفل الفتى النموذج والشيخ يعقوب النموذج، ويعزز هذا الحضور في قوله: " عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً"، مما يجعل حضوره في مصر وأمام يوسف أكثر منهم وهم الذين كانوا معه، وهذا يكشف عن عمق الحس عنده، وعن الاتصال عن بعد لكنه أكثر ثباتاً لأنه معلق بالله مباشرة.

وفي قوله: "إنه هو العليم الحكيم"؛ تتمة للنموذج ليصل للكمال في هذه المسألة الغيبية التي يتحدث عنها الشيخ، وهو تقويم واضح ليعقوب والمتلقي معاً.

تقدم الآية في نمط حسي عام، يتعمق في ارتباطاته ليصل إلى نهآية قلبية؛ وقد ابتدأ ذلك في قوله "سولت... أنفسكم...وصبر" وفي النهآية في ذكره صفات الله تعالى في المسألة الغيبية.

لقد انطلق من ارتباط سابق ليجمع بين القصتين، ويثبت الانحراف الإيجابي الثاني الذي أحدثه في صفة "حفيظ" لله تعالى، ويظهر في قوله: "عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم".

تستمر هذه الارتباطات ليتولى عنهم كما فعل من قبل، في مزج للصورة والحس معاً بقوله تعالى: "تولى عنهم، " وقوله "يا أسفى على يوسف، وابيضت عيناه، من الحزن، فهو كظيم"، وهذه الألفاظ تخاطب النمطين وتنميهما وتعطف عليهما الثالث في قوله تعالى: " قالوا تالله....".

إن هذا الارتباط للصورة المتذكرة الكلية عند يعقوب، تبين ما انطوى عليه قلبه طيلة السنوات الماضية، حتى اتصلت هذه الكلية بذكره الله تعالى في أكثر من موضع، وهذا يؤكد ذكر يعقوب ولده في خلوته مع الله عز وجل.

إن هذه الآية لا تهمل النظام السمعي إذ إنها توعز بعدم سماعهم قوله فهو تولى وقال، لكن سمعه الإخوة؛ وهو سمع إنشائي محتمل، و لا يخالف النص في حالتين وهما: وجود حذف وهذا يعني أن هناك زمناً ووقتاً، أو عدم وجود حذف وهو سماعه مباشرة، ويرجح الأول فصل القول في قوله: "وابيضت عيناه"، وهي حاله في عزلته وكلماته وتصرفاته.

وعدم الحذف يعني قسوة وجفوة من الأبناء عليه في كلماتهم، أما مع وجود الحذف فهو كلام مواساة من الأولاد له، ويحتمل حدوث الموقفين لطول الوقت.

وفي الحالتين لومهم وقسوتهم أو مواساتهم له قسوة على نفس يعقوب، وبيان لقلبه وسبب حبه لولده يوسف عليه السلام؛ إذ إنه يواجه مشكلة الجهل مع أبنائه، ولربما كانت هذه الكلمات أبلغ في نفسه من مواقف شتى محزنة؛ إذ يظهر مستواه الفكري لما له من علم من الله تعالى، ونقاشاته مع أبنائه الذين برغم ذكائهم لم يصلوا معه إلى نقطة التقاء لما له من استقامة وفهم، وما لهم من انحراف وفهم.

إن هذه الكلمات في الآية السادسة والثمانين، تبين وجهة توليه عنهم، وترد على لومهم، وهو ردٌ يتلاءم وما يجده في قلبه من الحزن والجفوة.

تستمر الآيات في الحوار العام لتقدم حساً يجوز تخيله من خلال استحضار الموقف كاملاً، أو الإحساس به في كلية الآيات وألفاظها نحو "أشكُ بثي وحزني"؛ كما تزكي الحس من خلال تزكية بصيرته القلبية على أبصارهم الحقيقية.

في قول يعقوب عليه السلام: "وأعلم من الله ما لا تعلمون"، حفاظاً على كيان الأب صاحب الأسرة المسيطر على مكانته بعد احتمالية توجيه الاتهامات له بفقد الوعي، أو عدم السماع لرأيه لما مر عليه من زمن أضعفه، وفي هذا الكيان يأمر يعقوب عليه السلام أبناءه من جديد فيقول: "اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه".... يتبين من تقديم هذا الجزء علاقة خاصة بين النموذج الشيخ وبين الله تعالى، إذ تظهر لنا الآية صورة الشيخ المعلم، وهي إيعاز لأولاده بهذه العلاقة التي لم تتضح معالمها إلا أنها علمٌ من الله تعالى، ولكن هذا العلم لم يبنَ على أساسيات منطقية تقبل المناقشة، ففي بوح مثل هذا النوع من العلوم اتهامً بالجنون.

وتتقدم الآية الكريمة بخطاب خاص يتغير معه النبر، إذ تشكل الآية نقلة في صوتيات الحوار، من الحوار الحاد الذي يظهر الجفوة بينهم – ولو لم يبدُ معه مدى قوى الصوت بشكل واضح-، إلى الخطاب اللين الذي يظهر الود، وهذا يدل على حذف فترة زمنية يعززها اختلاف مكان الحوار الذي يفتح مجالاً لإنشاء صورة للموفقين: مكان دخولهم على أبيهم، ومكان يكاد يودعهم ليشدوا رحلهم من جديد إلى مصر.

والحذف يساعد على وحدوية الموضوع في دمج حوار عام بأماكن متفرقة متباعدة في الزمان والمكان، ويدل على عرض المنهج وتزامنه مع التقويم المباشر للمستمع.

ويظهر لين الخطاب بما يناسب المشاعر والأحاسيس التي تطرأ على يعقوب، وهو من دلالة الإشعار بتخصيص العلم الذي تكلم عنه يعقوب-علاقته بربه- بالنظام الحسي، و تصرح الآية بلفظة "روح الله" وهي تشكيل رابط للمستمع بين الفترة الزمنية التي دار فيها الحوار، وبين الوحي الذي ينزل على الأنبياء، مما يجعل للنظام شيئاً من الخصوصية التي تلائم روحانية الشيخ النموذج، ويفتح المجال لإنشاء صورة قلبية تربط بالصورة الكلية، ويعزز النظام الحسي من خلال قوله: "تحسسوا، ولا تيأسوا، وإنه لا ييأس".

وهذا الظهور لغلبة النظام الحسي يتلاءم و نمط تفكير الشيخ في ذلك الوقت، كما يشعر بالحركة الحسية التي تختص بالفؤاد على الأغلب، لتنتقل الدلالة من الدلالة الحسية المادية السطحية إلى الدلالة العميقة لذات اللفظة وارتباطها بنهاية اشمل، وهي متمثلة بلفظة روح الله، ثم الانطلاق لنهاية قلبية عامة تتمثل بعبارة: "إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون"، فيظهر جزءاً هاماً من ارتباطات البناء الداخلي للنموذج الشيخ. مع الحفاظ على خصوصية النبي في الحضور والغياب مع أبنائه جميعاً في القصة كاملة. وتفعيل وجوده في أجزاء الآيات التي يبدو دوره ضئيلاً فيها. ويبين مدى حفظه للغيب.

(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) آية ٨٨

تحذف الآية كل حيثيــات الــسفر، وتنتقــل مباشــرة للــدخول علـــى يوســف عليــه السلام، ومما يدل على إيجابية الحذف والتجــاوز لهــذه المرحلــة؛ اســتجابة الأبنــاء لــرأي أبيهم، وهذه الاستجابة للمرة الثانيــة فــي القــصة، إذ لا تظهــر ردود جديــدة لــرأيهم فــي ذكر أبيهم يوسف عليه السلام مما يعنــي انتقــالهم لمرحلــة تتميــز عــن المرحلــة الــسابقة وهي المطاوعة لهذا الرأي العظيم، والنزول عن قناعــةٍ تــدل علــى ثمــرة الرجــوع عــن الانحراف الأول والبناء للمضي نحو التوبة أو الوحي.

كما يدل على حضور كلمات أبيهم لحظة الــدخول علــى مــصر أو ملاقــاة يوســف عليه السلام، ويؤكد هذا قولهم، إذ لم يظهر كلام عن الأخ الــذي يبلــغ مــن الأهميــة قــدراً أكبر مما يبلغه حب الصدقة، فقد اعتمدوا الإحساس أكثر من غيــره، وســاعدهم علــى ذلــك ارتباط العزيز وموضوع الأخ باليأس والإنكــار، وبالاســتعطاف ويبــدوا ذلــك مــن نــسق الآية.

استخدمت الآية كلمة: "مسنا" ممــا أضــفى عليهــا وضــوحاً فــي الطــابع الحــسي، لتقدم الصورة العامة في ذلك الموقف حــواراً عاطفيــاً حزينــاً لا يــرق لــه قلــب يوســف وحده، إنما يرق له قلب السامع ممــا يحقــق قبــول النتيجــة عنــده، فيجعــل للعفــو جمــالاً واستجابة لرغبة المتفاعل مع القصة فيتحقق الاعتدال الــداخلي بالرضــا عــن حكــم يوســف النموذج.

في هذه الآية يترك يوسف لإخوته مجال التعرف عليــه، ويــدلهم علــى نفــسه مــن خلال سؤال إنكاري، يشكل هذا الموقف تحولا فــي القــصة كاملــة، ودافــع هــذا الموقــف الشفقة التي ارتبطت بقلب يوسف عليه السلام مع أبيه يعقــوب، ففــي قــولهم "مــسنا وأهلنــا الضر" أخبار على تردي الحال التي وصلوا لها، كما أن هــذا الطــابع الــذي ضــرب علــى إخوته في ذلك الموقف من الذل والمسكنة يمكــن يوســف عليــه الــسلام مــن البــوح عــن نفسه، إذ أن السبب في هذه الحالة هو يوسف عليه السلام سواء كــان مــن خــلال مــا فعلــه بهم، أو من خلال تمكين الله له في الأرض، وجعل القحط سبباً في حاجة إخوته إليه.

ويتناسب الزمان في إزالــة هــذا اللــبس وإنهــاء هــذه المعانــاة؛ إذ تزامنــت مــع طاعتهم لأبيهم عليه السلام، فهي بمثابة ثمرة لهذه الطاعة ولهــذا التغيــر الــذي شــارك فيــه القحط ويوسف وأبوه عليهم السلام، فإن كــان الحــال بالنــسبة لهــم ســيئاً فــي ظــاهره – لمعرفتهم بما يمكن أن يفعل يوسف عليه السلام الذي لقي منهم كــل مــا لقــي– إلا أنــه فــي

حد ذاته يمثل نقلة نوعية من حال الخداع إلى المصارحة، ومن الغموض والضلال إلى الوضوح والنور، حتى لو ترتب عليه عقاب؛ إذ يهون العقاب مع معرفة السبب.

تحمل الآية الكريمة معنى الحذف الإيجابي، وتنتقل إلى ردهم على السؤال مباشرة؛ فقد وصلت المعلومة مباشرة لهم، لكن هذا الحذف يمثل انتزاع إقرارٍ منهم على فعلتهم، فلا أحد يعلم بقصة يوسف إلا هو، إذ الشائع أن الذئب أكل يوسف عليه السلام في غفلة إخوته عنه، لكن التصريح في هذا المقام يوضح معرفة المتكلم بالقصة.

لم يقل عليه السلام أنا يوسف، لكن قال: "أنا يوسف وهذا أخي" ثم أثنى على المتقين والصابرين وأعاد الفضل لله تعالى في لقائهما، وذلك استمرار لتقريعهم على فعلتهم، والانتقال بهم من حالة الإقرار بعدم موت يوسف عليه السلام، إلى مرحلة الندم وهي استكمال لتقويمهم وتحقيق للتوبة الصادقة.

يمكن الحوار السامع من بناء صورة تمثل استكمالاً للصورة الكلية عن النموذج، إذ تصل بالنموذج إلى التمكن من إصدار الحكم الذي يشاء من خلال هذا الانتصار الذي يحققه، كما تنقل النموذج إلى مرحلة الحكم المباشر، مما يعني تقويم السامع وتهيئته لربط العفو في حال المقدرة وتحقق فيه العدالة، وتفتح له مجالات في أساليب التصرف في مرحلة التمكن من المخطئ.

تتقدم الآيات الكريمة في حوار بفتح الأفق لإنشاء صور متعددة عميقة وسطحية كما تمكن السامع من إنشاء صوت القول، وحدة توترات الصوت في هذا الموقف الحساس، ولا تغفل عن إحلال مشاعر الإخوة المتفاوتة بين التقريع والحنان بين الأخوين، لتقدم أجزاء النظام كاملاً وتتمكن من ربطها لدى لمتلقي مع قول يوسف عليه السلام" انه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" كما تشكل حافزاً للتقوى والصبر، وتفتح الإطار لبناء علاقة مباشرة مع الله تعالى.

(قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿ ٩١ ﴾ قَالَ لاَ تَثْرَيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

يتناسب مطلع الآية وبداية الكلام للإخوة مع المرحلة التي وصلوا لها، كما يناسب السامع في استكمال البناء الداخلي من خلال اتصال ذكر الله بين الآيتين، ومن خلال تعزيز صورة النموذج في ما يفرضه على الآخر من قول، وهي مرحلة متقدمة للداعية.

لقد عقدت الآية مقارنة غير مباشرة بين مرحلتين، المرحلة الأولى في بداية قصة يوسف وموقف إخوته عندما ألقوه في البئر، وفيها ظاهر القوة لهم والغلبة عليه، والثانية موقف قوة يوسف عليه السلام وضعف إخوته، و يتمكن يوسف عليه السلام من التصريح برأي مختلف من خلال قوله: "أنا يوسف وهذا أخي"، وهذا التصريح غير مباشر في بيان سبب فعلتهم القديمة يوسف، إذ هو وأخوه من أم واحدة ، لكن كثر ذكر الله تعالى في هذا الموقف، واعترف الإخوة بالذنب القديم من خلال قولهم: "تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين"، وهو اعتراف مع إشفاق منهم على هذه الحال، ودليل ندم من خلال إرجاع الأمور السابقة جميعها إلى الله تعالى في لفظ حسي في قولهم آثرك، وهي استدلال على مكانة عالية للإخوة في هذا المقام عند الله تعالى، وامتداد للتأثر في كلمات يعقوب عليه السلام.

يتمكن يوسف عليه السلام منهم ثم يعفو عنهم؛ إلا أن هذا العفو ليس خاصاً؛ إنما يدل على محذوف من كلامهم في طلب المغفرة من الله تعالى، وقد تم الحذف في هذه الكلمات ليتم بناء النموذج وللصرف عن مرحلة تشعبات الإخوة، فهي مرحلة تمثل الإحسان، في طلب المغفرة لهم من الله، كما أن من إيجابيات الحذف في الآية، بيان التسامح الداخلي في قلب النموذج. فهو لم يعف عنهم ليعاقبهم، أو يعاتبهم فيما بعد، من خلال مكره بهم في أرض عزته، إنما هو عفو مشوبٌ بالمحبة و الرحمة.

كما تبين هذه الكلمات انتشار المحبة بين الإخوة جميعهم، فهي تنتقل بالسامع من خلال عرض الموقف من مرحلة المحاكمة والإحراج، إلى موقف الفرح الذي يعم الجميع بلقاء يوسف عليه السلام.

وهذه المشاعر التي استحدثتها الآية في عرض الموقف، تحقق للسامع تعزيزاً للرابط الداخلي بيعقوب الأب اذ يتسابق المتلقي مع الآيات لإحضاره، فتنتقل مباشرة للأب في الآية التي تليها، كما تزيد من مشاركة الإخوة أباهم وأهلهم ويوسف بفرحه اللقاء من خلال إرجاع البصر ليعقوب عليه السلام، وتثبت مكانة يوسف النبي عندهم وعند يعقوب في قوله: "يأتِ بصيرا" وهو ارتباط عزته في الدنيا والآخرة، وبيان تدخل القدر في القصة جمعاء.

لم يرسل يوسف عليه السلام أحداً آخر لأبيه فيرتاح الإخوة من عناء السفر، الذي كابدوه مراراً، إذ في هذه المكابدة ما يهذب النفس فهو لم يكتفِ بتقويمهم وتهذيبهم

بالأساليب التي استخدمها في مخاطبتهم، كما أنه تفعيلُ لدور يعقوب عليه السلام في هذا الأمر، وحفاظٌ لمكانته في الأسرة.

إن لمصارحة يعقوب عليه السلام من قبل أولاده في فعلتهم، في مشاعر الفرح بلقاء يوسف عليه السلام واستعادة بصره، دور في مسامحة يعقوب أبناءه، والاستغفار لهم، كما أن فيه دليلاً قاطعاً على صدق نبوة الابن والأب، ورفعة الأب عن الهواجس الكاذبة.

يشكل الانتقال من قوله تعالى: " وهو أرحم الراحمين" إلى معجزة القميص والبصر وحدوية في الآتيين، في زيادة مشاعر وأحاسيس الفرح، في صورة عميقة تكاد تغيب معها ارتباطات الأسباب السابقة في إخراج يوسف عليه السلام من أهله، والتسبب بحاله القديم، وهو معونة للأخوة على الانتقال إلى الأسلوب الجديد في الحياة بعد عودة يوسف عليه السلام، وتذكر الآيات ألفاظ الأنماط الثلاث في "قال، وأرحم الراحمين، وبصيراً"، والحركة في "على وجه أبي، وأتوني بأهلكم أجمعين.. "

إن هذه الآية تمثل ظهور صوت الله تعالى وارادته بشكل صريح في قصة يوسف، مما يوضح انصهار مجموعة العلاقات في قصة يوسف عليه السلام في هذه الإرادة–علاقة النموذج الأب بالنموذج الابن يوسف، وديناميكية الاتصال غير المباشر– ويبين القميص موضع هذه العلاقة وهذه الإرادة، كما يتبين مدى فهم يوسف عليه السلام لتأويل الأحاديث في رؤيته للقميص، الذي يمثل سبباً في رد البصر لوالده، كما يوعز ليعقوب عليه السلام هذه الإرادة من خلال حامل القميص وموضع الأمانة، إذ لم يكن المؤتمن على يوسف عليه السلام البارحة أهلاً لهذه الأمانة من جانب، ومن آخر لم يكن له مطلق الإرادة في تضييع يوسف، لكنه اليوم أهلٌ للأمانة من جانب، ومن آخر فهو لا يملك مطلق الإرادة بالتصرف بالقميص.

يمثل القميص ليعقوب رابطاً بفقده ولده، فهو يفجع بقميص يوسف الملطخ بالدم، كما أنه ظل مضللاً منذ ذلك اليوم في تحسبه على ولده ليجعل الله القميص رابطاً حسناً ليعقوب عليه السلام، يحمل بشرى يوسف عليه السلام ويرد له البصر، فيخرج من التضليل إلى النور في مرتبتين النور الذي يمثل معرفة الحقيقة، والنور الذي يمثل البصر الحقيقي ليعقوب عليه السلام، ويحل رابط البشير والفرح مكان نذير البارحة والحزن.

فيتمكن يوسف عليه السلام في هذا التصرف من تأويل المنام، وحسن التصرف في ارتباطات الزمان الماضي الحاضر الغد؛ في المنام والواقع.

(وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ) آية ٩٤

تحذف الآيات الكريمة حواراً بين الأخوة، وتفصيلات تم ذكر المفاد منها فلم يحدث اعتراضُ من أي من الأخوة يذكر، وإنما سلموا أمرهم، وأطاعوا رأي يوسف عليه السلام، وإنما ذكرت جزءاً من الرحلة هاما في هذه المرة وهو "لما فصلت العير".
ومن كليات اكتمال المنهج واكتمال السورة النموذج قوله تعالى" وائتوني بأهلكم أجمعين" وقوله: " قال أبوهم " و": وقالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم"و "فلما أن جاء البشير".

(وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿ ٩٤ ﴾ قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴿ ٩٥ ﴾ فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ).

كما أن القميص موطن فؤاد يعقوب عليه السلام، الحاجز الذي بينه و بين يوسف عليه السلام، وهو موطن سر الإخوة الذي زال؛ فإن موطن أفئدة العير أهلها، فلما فصلت لتقبل على أهلها وجد يعقوب ريح يوسف عليه السلام في القميص، وهو من علم يعقوب والأنبياء ويختص بهم أكثر من غيرهم في التزامن، فقال تعالى: " قال أبوهم"، ثم قال: " قالوا.." إذ إن يوسف قال لهم ائتوني بأهلكم أجمعين، وقد حضر في أذهانهم هذا الموقف سلفاً، ولما كانوا كذلك كان يوسف قد تكلم بالوحي في قضية القميص وهو يعني التدخل الإلهي مباشرة، فيكون فؤاده وأبوه والقميص موطنُ سر أبلغ عند الله من الإخوة، ويظل الحال كذلك مع يوسف إلى أن يرفع أبويه

على العرش فيخروا له سجداً* لظهور الحق، وبينما تتغير الحال مع إخوته والعير وأبيهم جراء السفر وتغير الأحداث.

كما أن قوله: "فصلت العير" من موطن النظام الحسي العميق، فإن لفظة ريح يوسف تلاءم هذا الإحساس، وفي هذه اللفظة والآية تتشكل آية في تأويل الزمن من إنزال هذا الإحساس منزلة الرؤيا، أو رؤيا الأنبياء، فيكون من ريحه العفو والمسامحة وإرجاع بصر يعقوب عليه السلام، وتعلق المعجزة بالله عن طريق يوسف عليه السلام و رفعهم على العرش، ثم السجود له بظهور الحق.

لذلك قال تعالى: " قالوا تالله... " وهو من نسبة الولد لجده، وإحضاراً لتعدية الأبناء أباهم، فيطيعوا أباهم في التحسس من يوسف عليه السلام وأخيه، ومن خطاب الضالة في حلولها الأبناء، لاسيما وأنهم سيعترفون بما جرى لأبيهم فتكون المخاطرة مع يوسف وأبيهم في المراسلة واضحة.

كما قد كان من رد القول على يعقوب عليه السلام في قوله تعالى "قال أبوهم... "، سماعه " إنك لفي ضلالك القديم" فستبقى الأحداث كما هي بعد ذلك ولا يحدث تغيراً سلبياً على يعقوب عليه السلام.

تحدثت الآيات عن وصول البشير بالقميص مع حذف القميص، وذكر ضمير يعود عليه بالتوالي: "ألقاه" و"على وجهه" ، وفي هذه الآية ذكرٌ لإرادة الله تعالى على إرادة يوسف عليه السلام.

لقد قدمت الآيات الكريمة الموقف بحوار يمزج الأنماط الثلاث معاً، كما يدل على القلب في بعض المواضع.

إذ امتزج الحوار الصوتي في النمط الحسي في قوله فصلت العير، وذكر ريح يوسف عليه السلام مع لفظة "أجدُ"، وهي لفظة تدل على إحساس الفرح، والخوف من هذا الفرح غير المعتاد في قلب يعقوب عليه السلام، وفيه تثبيت لفؤاد يعقوب وتحديد لموضعه، ويتبين هذا التخوف من خلال خوف أكبر من التفنيد و اللوم، وهو لفظ سمعي يرتبط بإحساس الخوف، وتبين الآية في قولهم ما في قلوبهم، وذلك من خلال القسم والتوكيد بأن في لام المزحلقة وفي لفظة "القديم"، فهو رأيٌ مخزون لم يظهر من

---

* نموذج في اللامحدود: وقوله "توفني مسلماً" –المثل الأعلى– .

قبل الأولاد من قبل، كما تدل الآية اللاحقة وتخوف يعقوب السابق على إلحاح للأبناء بهذا اللفظ بدلهم على موقع آبائهم من يعقوب عليه السلام.

وقد استخدمت الآية لفظة "البشير" مباشرة بعد التفنيد لتشكل إحساس الفرح، وعموم الفرح الذي بثه يعقوب عليه السلام في صدق الوحي والجزم بالنبوة وعدم التخريص، وهو من النمط الحسي الباطني كما يعزز هذا النمط لفظة "ألقاه"، التي تقرب من لفظة "أجد" ولو كانت لفظة "أجد" أوضح في دلالتها على هذا المعنى إلا أن العلاقة في "ألقاه" تناسب غموض المعجزة وكنهها، والحركة في وصول البشير وإلقائه القميص ولفظة "بصيراً" تشكل مزيجاً من النمط الحسي والبصري فهي حركة محفزة لتشكيل الصورة، كما أن لفظة "بشير" تخفي وراءها صوتاً مختلفاً عن الصوت السابق في تفنيدهم له، فهو صوت أعلى يرافقه إحساس مختلف لدى الجميع يستعيد به الشيخ النموذج البصر ومصداقية البصيرة.

يتبين عقد من عقد قلب يعقوب عقدها عند قوله: "أعلم من الله ما لا تعلمون"، وهذا العقد في آية لوم أبنائه له، ثم استنصر الله وعقد في ذلك الموضع تحقيق الأمل.

لذلك فهي من تمام القول: السورة النموذج" وقد تبين بداية عقده وعزمه على ذلك منذ أن تولى عنهم، مروراً بالآية السادسة والثمانيين، ومجريات الأحداث مروراً بلوم الأولاد، وقوله تعالى: " فلما أن جاء البشير..." فالآية تدل على زمن لم يتكلم به يعقوب ليرد على هذا القول، وهذا الزمن يبدو طويلاً من صوغ الآية، في حين أن الزمن لم يظهر كذلك في غيرها من الآيات التي تشبهها، وهي من مفاد ذكر الآية الكريمة في وصول البشير، واستكمالاً لإحساسه بالحزن على قولهم وكأنما تولى عنهم أيضاً وأحس بطول الانتظار لما قالوه، ولانشغاله بشوقه لما جاءه من العلم، فلما حدث ما قال وصدقه الله عز وجل، قال:" ألم أقل لكم إني أعلم ما لا تعلمون"، وهي للآيتين أبناؤه وأهلهم.

(قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)

تحذف الآيات رواية القصة، وتذكر طلب الأبناء الاستغفار من أبيهم، وهو حذف إيجابي لعلم السامع بالقصة سلفاً من جانب، ومن آخر ذكرٌ لما هم عليه من عدم الانحراف السلبي، وتنتقل لطلب الاستغفار من أبيهم، وطلب الاستغفار يفيد الحالة

العامة التي هم عليها، وهي استكمال أشروط التوبة بعد الاعتراف بالخطأ. إن تقويم إخوة يوسف عليه السلام وتوبتهم، واستغفار يوسف وأبيه لهم، جعلهم في مرتبة عالية وهي ذكرهم مع الأنبياء في لفظة الأسباط؛ لتتمكن هذه العائلة من تغيير تاريخ مصر، والمنطقة إلى هذا الوقت.

وتعرض الآيات حالتهم في استحضار الإحساس بالندم، وإمكانية إنشاء لمشاعر خاصة بيعقوب عليه السلام من خلال تفعيله للزمن في قوله: "سوف استغفر لكم ربي"، واستحضار صورة فراغه إلى الله تعالى في طلبه المغفرة لهم.

(فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ ﴿ ٩٩ ﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ).

تنتقل الآيات انتقالاً مباشراً إلى دخولهم على يوسف في مصر، ومما تفيده هذه النقلة استغفار يعقوب عليه السلام في الرحلة، وهي أبلغ لما للمسافر من دعاء مستجاب عند الله تعالى.

وقد أفاد هذا الحذف الحصول على المغفرة من الله تعالى، واستجابة للدعاء، إذ وردت الآية بصيغة الجمع " دخلوا على يوسف" و يجعل هذا جميع الأبناء مع أبيهم في مرتبة واحدة بطريقة غير مباشرة، ليتميز الأبوان بالشمس و القمر، ويتميز الأبناء بالكواكب كما في الرؤية.

تحذف الآية الكريمة حرارة اللقاء بين الأب والابن، وتقدم للسامع تصرف يوسف عليه السلام، وهذا الحذف حسن في تقديم النموذج، إذ عمد إلى التصرف والتعامل مع الوالدين بألفاظ حسية رقيقة في كلمة آوى إليه، وفي كلمة آمنين، كما تضفي الآية تعاملاً خاصاً بين يوسف وأبيه، وهي مبنية على الصدق والمصارحة، فالتطابق بين الاثنين سيكون كما التطابق بين الأصدقاء، وليس بين الأب والابن، ويظهر هذا من خلال كلمة آمنين وذكر كلمة مصر، إذ عهدهم بمصر من عهد إبراهيم عليه السلام وقصة مع النمرود، ولم يكن لهم ليدخلوها آمنين كما لهم الآن، وهي من تمام السورة النموذج في ارتباط الآية مع بدايتها في قوله "ويتم نعمته.. وإسحاق"، وقد أوضحت السورة كلمات يعقوب عليه السلام ليوسف عليه السلام، التي

تأخذ منحى الصداقة، ولكن مبعثها السر، السر بين الأنبياء فهم إخوة في النبوة، ولهم خصوصية في شهادتهم الأحداث.

تدخل السورة من موضع الاستقبال لداخل القصر مباشرة وهو موضع العرش، لتقدم الآية وصفاً لحال من أغرب الحالات التي وردت في القرآن الكريم، وهو مكان وقوع الرؤية.

لم تكن المسافة الزمنية بين إبراهيم عليه السلام ويعقوب كبيرة فهو جده الأول–بينهما إسحاق– ولإبراهيم عليه السلام بشرى يعقوب في قوله تعالى: " وبشرناه بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب"، وقصة إبراهيم عليه السلام مع النمرود في مصر حديثة العهد، مما يجعل الإطار العام بعد دمج الأسباط للعائلة في السورة يدل على تغيير واسع في مستوى الأمم والحضارات،ويمكن من قراءة الأحداث في قصة يوسف عليه السلام قراءة جديدة تفتح أمام الناظر فرصة التعرف على أنظمة وحكومات متتالية يستطيع من خلالها الاتعاظ والاعتبار في هذا الإطار الأكبر.

مما يهم الدراسة في هذه "العاجلة" قوله تعالى: " وخروا له سجداً"

إذ تحمل الآية معاني توافق أغلبية المذاهب الإسلامية في تأويل الموقف، ومن الهام ذكر حادثة القميص، والتقاء الأنبياء في هذه المعجزة، إذ لا يزال يوسف عليه السلام في مصر ينتظر العائلة، وآخر ذكر له كانت حادثة القميص، وبين هذه الحادثة ورفع أبويه على العرش، تنتهي قصة يوسف عليه السلام، لكنها تنتهي بظهور معنى قوله تعالى: " وكذلك كدنا ليوسف" وقوله: "وكذلك مكنا ليوسف في الأرض" فتنتقل الأحداث من إطار السبب إلى المسبب، وبرغم وقوف النبي يوسف عليه السلام، أمام النبي يعقوب عليه السلام، إلا أن قراءة الآية لا تكون من خلال التطابق بينهما، والعطاء الفردي لكل منهما الآخر، كما يتلخص الموقف بترك النظام مع جميع أنماطه، والانتقال إلى ظهور الحق.

ومن هنا تنتقل الآية الكريمة من حالة الوصف، إلى قول يوسف عليه السلام: " يا أبتي": وهذا دليل على انطلاقه نحو أبيه إذ يتمكن القارئ من معرفة حقيقة الله تعالى وإراداته، بعيداً عن تأويلات النظام وعن التأثيرات الداخلية لسلوكيات إنسانية، وهذه الحالة برغم أنها من خصوصيات النبوة إلا أن فيها إتماماً للنموذج، وتقديماً له من خلال وصف كلامه في هذا الموقف، فهو تقويم مباشر، يتمثل في مخاطبة السامع

في القرآن، وغير مباشر في تقديم نموذج القصة في يوسف عليه السلام وفي الشيخ يعقوب عليه السلام.

إن الكلمات التي تقدم بها يوسف عليه السلام – إثر سجودهم له – لأبيه؛ ذات ثلاثة محاور؛ المحور الأول في قوله " هذا تأويل رؤياي من قبل..."، وهي ارتباط دال على انعقاد قلب النبي على الرؤيا منذ ذلك الوقت، وحضوراً لكلمات يعقوب عليه السلام منذ روى له القصة.

وتمثل هذه الكلمات ارتباطات في ذات النص يجعل من النص نموذجاً تاماً، إذ ينتقل بعد هذه الرؤيا كما تعودنا في الرؤى السابقة إلى وصف الواقع، وإلى الله تعالى، والواقع في قوله: " قد جعلها ربي حقاً"، وهو وصف الحال القائم، مع إرجاعه لله تعالى.

تكمل الآية الكريمة كلمات يوسف عليه السلام، في إضمار الفاعل الذي يعود على الله تعالى، وهي قراءة تركيبية تبين حرص النبي عليه السلام على دينه وعلى سلامة معتقدة، فانطلق عليه السلام من الرؤيا التي تمثل ارتباطاً" داخلياً"، إلى صورة أخرى تدل على التركيب القلبي في رؤية واقع الأحداث، وهي في ذكر نعم الله تعالى ونصرته له، المصحوبة باللطف، وقد حذفت الآيات حديث يوسف عليه السلام عن تفصيلات حياته لأبيه ، وذكرت خروجه من السجن مباشرةً، وخروجهم من البدو، إذ في الحالتين أثر في قلبه عليه السلام، فقد لبث في السجن إلى ما شاء الله، ففي حادثة خروجه من السجن ارتباطٌ عميقٌ بالله تعالى، لأنه تبين له من خلال نسيان صاحبه في السجن ذكر يوسف عند ربه، فهو فضل لله وحده دون غيره وبعيداً عن التعلق بالمسبب المقصود، كما أن في إخراجهم من البدو وحلول الألفة بين العائلة؛ دليل على إرادة الله تعالى في هذا المقام، فهي مشابهة لقصة السجن، وما كان لغير الله في نظرهم جميعاً مقدرة لأحدٍ في حل هذه المعضلة بين أفراد العائلة، ومن المناسب ذكر هذه الكلمات إذ أنها ترتبط مع تحقيق الرؤيا في إعادة الفضل والقدرة لله وحده.

كذلك تدل الآية على هذا التشعب القلبي الداخلي للنبي، ويتم الاكتمال الإنساني له بقوله " انه هو العليم الحكيم"، إذ يتبين مصدر العلم والحكمة، وتتم التعديلات الداخلية الموافقة لهاتين الكلمتين في قلبه عليه السلام.

ثم ينطلق في المحور الثالث للدعاء لله تعالى، وفيها استكمال معنى اللطف وتحقيق العبودية لله تعالى وحده الذي حرره من قيوده، وتسبب في تحقيق رؤياه

بالسجود قبل قليل، وهذه الكلمات يشترك فيها النموذج في المرحلتين مرحلة الرجل الذي يدعوا ويطلب من الله، ومرحلة الشيخ الذي خاطبه يوسف قبل الدعاء، ويمثل سلامة معتقد المجموعة، ويفتح الموقف كاملاً مسلكاً لله تعالى في ذلك المقام، وفي مقام القرآن الكريم.

قدمت الآيات الكريمة صورة عامة للحوار الذي دار فيها مصحوباً بمشاعر الفرح والنصر التي ارتبطت بالله تعالى، وهكذا يتمكن السامع من الإنشاء في جميع الأنماط، إلا أن هذا الإنشاء يتعرض للتقويم شيئاً فشيئاً، من خلال مجريات الأحداث، حتى يكون منشأ سليماً، ذا أثر إيجابي على الإنسان في جميع الأنماط، فتقفز الصورة من مرحلة الاستقبال إلى العرش مباشرة، وهذا يجعل هذه الصورة مصحوبة بمشاعر اللقاء القريب، وهو من إيجابيات الحذف كما أن الدمج في حديث يوسف وشعور الأمان، يضيف للصورة طابع الألفة، ودافع الصدق في الأحاسيس، وتنتقل الصورة من نحو الرفعة التي تحدثها كلمتا" رفع" "وخرُّوا له سجداً"؛ لتصهر السورة كاملة بعد ربطها بأولها في مجمل سور القرآن الكريم، في قوله تعالى: " إن ربي لطيف لما يشاء"، فتسير الصورة المنشاة بأصواتها وأحاسيسها من عزة الفرد إلى عزة الله، وتحقق ربطاً عميقاً لقصة إبراهيم عليه السلام، في الشعور أو اللاشعور لدى السامع مما ينقلها الى زمن أوسع، مع الحفاظ على إمكانية إنشاء الصوت بتفاوت نبراته وإرتباطه مع مجمل الأحاسيس الداخلية للنموذج، وإنشاء الحس في الحركة و التنقل المكاني الحقيقي والمكانة الداخلية في مزيج خاص، يدمج الفرح والإحساس بالنصر والحزن العميق الذي يربط الحس المنشأ بنهايات القلب، وقد أحدث هذا الحزن مجموع التراكمات السابقة، والتأوه إلى الله تعالى بظهور علامات العبودية في كلمة "سجدوا" وفي الدعاء من خلال كلمات يوسف عليه السلام. لاسيما أنها انتهت بقوله: "توفني مسلماً وألحقني بالصالحين".

(ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُواْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ)

ينتقل الحديث في الآيات إلى الرسول ﷺ ومخاطبة السامع للآيات الكريمة، وهذا الانتقال ينتهي معه نمط الحوار القصصي، مما يعني إنهاء عنصر هام من

عناصر النمط السمعي، إذ لو سار الحوار في القصة معتمداً على ألفاظ النمط البصري والحسي لكان معتدلاً في ذلك، إذ وجود الحوار عينه يغطي هذا الجانب؛ من خلال قوله: " قال، وقالوا، وقالت وتبدأ الآيات الكريمة بكلمة " ذلك"، لتحقيق بداية جديدة في التفات يناسب تغذية النص كاملاً من خلال مخاطبة الرسول محمد ﷺ والسامع، ودمج القصص بكلمة ذلك.

إن هذه الكلمة: " ذلك" تحدث تأطيراً كاملاً للقصة، مما يضعها في صورة بالغة العمق في النفس، وهو يساعد في ضم النموذج للذات لدى الرسول ﷺ ولدى السامع مما يحدث تغيراً إيجابياً سريعاً ويثبت القصة بإطار نهائي عام في القلب.

تعزز الآية النمط السمعي في كلمة " أنباء" كما تستخدم الآيات الآتية كلمات من النمط السمعي، يستعاض عنه في هذه المرحلة الانتقالية من الحوار إلى الخطاب المباشر، كما ترد كلمة التلقي بـ " نوحيه" وليس نتلوه" وهي تماشي مع جمع الأنماط، إذ تعزز الإحساس بالوحي من جانبين: الحسي في الاحساس بالوحي والجانب السمعي في استكمال صوت الأنباء، وتضع للمستمع نمطاً بصرياً في نقل صورة قصيرة، ومشهدٍ موجز من القصة؛ وهي تآمرهم في قوله "وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون".

وتبين الآيات قلب النبي محمد (ص) من خلال كلمة "حرصت" إذ أنها من نهايات الباطن، لتنتقل إلى سلوكه مباشرةً في أداء الرسالة وعدم طلب الأجر عليه، وهي علاقة واضحة بين محبة الإيمان للآخر ودعوته إليه.

(وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاء وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَـكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).

تعرض الآيات الكريمة لحال المشركين في طابع من التعميم، إلا أن هذا التعميم لا يأخذ طابع المغالطة؛ لأن الموضوع المعروض هو العامل الذي يشترك فيه هؤلاء الأشخاص، لذلك فالتعميم مقصود بذات الموضوع وهذا القصد يجعل منه تعميماً مناسباً إيجابياً في العرض.

إذ وقع الاستثناء من بداية الآيات الكريمة للشرك وهو القضية المراد عرضها في قوله تعالى: " إلا وهم مشركون".

تعرض الآيات الكريمة حالهم في أسلوب دعوي؛ بالاعتماد على الأنماط الثلاثة في المزج والتوالي. ويظهر النمط الأول وهو النمط الحسي في موضعين: الأول في قوله تعالى: " أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله، أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون"، حيث تستخدم الآية الترهيب للوصول إلى القلب في مجملها عن طريق كلمة: " آمنوا" وهي قلبية واضحة في ما يترتب عليها من سلوك، كما تثير لفظتا "عذاب" و"بغتة" العلاقات الداخلية في الحس البشري، ويساعد على هذه الإثارة لفظة "تأتيهم" لما لها من حركة، ويحضر في هذه الآية الاحتساب الذي يعني الحس الداخلي بالزمن، يتأتى من الخوف والحذر المعاكس للأمان، فانتهت الآية بلفظة حسية وهي " يشعرون"، إذ تحقق تقريعاً لهم من خلال استفزاز الحس المعتمد في ظنيات الزمن المخفي.

والموضع الثاني في قوله تعالى: " حتى إذا استيأس الرسل... " وفي الألفاظ في هذه الآية " استيأس"و"بأسنا" وصول للقلب عن طريق الحس، ويساعد في ذلك سرعة النصر في كلمة جاءهم، إذ لم يلبثوا في اليأس كثيراً، وكلمة اليأس لا تكون متخيلة إلا بالعذاب فإطار الحس فيها واضح إلا أن الآية تدمج هذا الإطار بالقلب؛ إذ توحي كلمة استيأس، شيئاً بعد شيء لكن محط استفزازها النمط الحسي، وقوله تعالى: " ظنوا أنهم قد كذبوا" معطوف عليها مما يساعد في بيان علاقتها بمحط الظن وهو القلب، فناسبت كلمة "جاءهم" مباشرة بعدها مع عصمتهم من هذه النهاية.

والنمط الثاني البصري يظهر في موضعين: الأول في قوله تعالى " قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين" ويتمثل النظام في كلمة: "بصيرة" وهي ذات دلالة بصرية عميقة، تلائم الوصول إلى القلب من طريق الدعوة إلى الله حيث لا تكون إلا بعد مراس، وهي سلوك في ذاتها معبر عن القلب، وتلائم النمط البصري في صوت حروفها وانسجامها مع الصورة المنشأة من جانب، ومن آخر مع الصورة التي تحدثها الآية كاملة في جعل شكل الدعوة سبيلاً مرئياً يسلكه المبصرون.

والنمط الثالث يظهر في الآية الأخيرة، في الألفـاظ: " قـصص" و"حـديثاً يفتـرى"و " وتصديق" والوصول للقلب من خلال اللفظتين "قصص" و "حديثاً يفترى" مـن خـلال طـابع المقطع الأول المنتهي بؤلي الألباب وكلمة تصديق وتفصيل؛ إذ تحل دلالات عميقة تفعل أنماط " أخرى مما يجعل السامع مهيأ للبناء القلبي في كلمة "هدىً" و "رحمة لقوم يؤمنون" لذلك انتهـت الآية بكلمة الإيمان من نهايات القلب، بعد الوصول له من طريق الـسمع واسـتفزاز النمطـين الآخرين.

الخاتمة

استطاعت الدراسة أن تحقق النتائج المرجوة، ملتزمة بالوصف المشار له فـــي الخطـــة الدراسية، وإجابة عن أسئلتها ؛فعرفت النظام التمثيلي وقدمت لنا طريقة تمكننا من التعرف إلـــى اللغة؛ دون إهمال الدال والمدلول والعلاقة بينهما، مع الاهتمام بهدف التواصل.

وقفت على أنماط الاتصال مبينة كيفية الرقي بالمستوى الخطابي، لتجاوز جــزءاً مــن مشاكل الاتصال، مشيرة للغة الجمالية عن طريق تضافر الأنظمة وتقديم الصور الإنشائية.

كما مكننا النظام التمثيلي من قراءة النصوص بطريقة جديدة، كاشــفاً نمطيـــة تفكيـــر الإنسان؛ بعد مراعاة التحديثات التي أوجدها القرآن الكريم، إذ تمكن من جعـــل القلـــب مركـــزاً مستقلاً يمثل الفكر الكلي التراكمي للإنسان، وجعل السمع والبصر والفؤاد قنوات للتواصل بالعالم الخارجي، كما جعلها تمثل روابط داخلية للقلب. وجعل الفؤاد ذا خصوصية في ارتباطـــه بـــالله تعالى من جانب وارتباطه بالقلب من جانب آخر.

قائمة المصادر المراجع

القرآن الكريم

ابن كثير، أبو الفداء، (ت: ٧٤٧هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٩٩٩م.

ابن منظور، (ت: ٧١١ هـ)، **لسان العرب**، دار الحديث، القاهرة،٢٠٠٣م.

البغوي، الحسين بن مسعود، (ت: ٥١٦ هـ)، **معالم التنزيل**، الطبعة الرابعة، دار طيبة، ١٩٩٧م.

الزمحشري، محمود، **الكشاف**، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،٢٠٠١م.

الطبري، محمد بن جرير، (ت: ٩٢٣هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م.

القرطبي، محمد بن احمد، (ت:٦٧١ هـ)، **الجامع لأحكام القرآن**، دار عالم الكتب الرياض، ٢٠٠٣م.

الفقي، إبراهيم، (٢٠٠١)، **البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود**، الطبعة الأولى، المركز الكندي للطاقة البشرية.

اكوانور، جوزيف، **التخطيط اللغوي العصبي**، الطبعة الاولى،ترجمة محمد الوافد،دار علاء الدين – دمشق.

انتوني روبن، **قدرات غير محدودة**، مكتبة جرير ، الرياض،٢٠٠٤م.

إيمان فوزي حرب ولارا ابو حمامة ، **برمجة الأجداد**، دار النفائس ،عمان ٢٠٠٤م.

أيمن خلف، **رحلة عبر البرمجة اللغوية العصبية**، حمص ،٢٠٠٥م.

جاريت ، تد ، **البرمجة اللغوية العصبية للمدرب الفعال**، مركز الخبرات المهنية،القاهرة،٢٠٠٤م.

حنا غالب، **كنز اللغة العربية**، الطبعة الأولى، لبنان – ناشرون ،٢٠٠٣م.

الدرويش، محيي الدين، **إعراب القرآن وبيانه**، الطبعة السابعة، دار ابن كثير، دمشق – بيروت،٢٠٠٢م.

الزهراني، **البرمجة اللغوية العصبية.**

ستيف باستر واندرياس كونيرا، **قلب العقل**،مكتبة الجرير،الرياض،٢٠٠٥م.

السعدي،عبد الرحمن، **تيسير القرن الكريم**،الطبعة الأولى،مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م.

السياب، بدر شاكر، (ت: ١٩٦٤م)، الأعمال الكاملة، **ديوان أنشودة المطر**.

سيد قطب، (ت: ١٩٦٦م)، **في ظلال القـرآن**،الطبعة الخامس والعشرون،دار الشروق، القاهرة،١٩٦٦م.

عبيد،آلاء محمد، **البرمجة اللغوية العصبية**، الطبعة الأولى،دار الصفاء،عمان،٢٠٠٦م.

القطان،إبراهيم، (ت:١١٤٣م)، **تيسير التفاسير**، الطبعة الأولى،عمان ،١٩٨٣م.

ماكدرمون ايان ووندي جاجو، **مـدرب البرمجـة اللغويـة العـصبية**، الطبعـة الأولـى،دار جرير،الرياض.

مدحت أبو النصر، **سلسلة البرمجة اللغويـة NLP**، الطبعة الاولى ،مجموعة النيـل العربيـة، القاهرة،٢٠٠٦م.

نايت سو، **البرمجة اللغوية العصبية في العمل**، الطبعة الثانية ،جرير – الرياض.

هاريس ،كارول، **البرمجة اللغوية العصبية: الآن أكثـر سـهولة**، الطبعـة الأولـى،جريـر الرياض،٢٠٠٤م.

هلال ، محمد عبد الغني، **الدليل العلمي لتطبيقات البرمجة اللغوية العصبيةNLP**، مصر.

هلال، محمد عبد الغني حسن، **لبرمجـة العـصبية**،الطبعـة الأولـى، مركـز تطـوير الأداء والتنمية،مصر – العربية،٢٠٠٦م.

مذكرات، البرمجة اللغوية العصبية،WWW.NLPNOTE.COM،الخميس،١٩٢٤ هـ .

The Representation System in Arabic: Theory & Practice

By
Ahmad Fawaz Ahamd Alzoubi
Supervisor

Dr. Mahmoud Jaffal Al-Hadeed

ABSTRACT

This study seeks to explore a system that closely associates with language and criticism for purpose of providing a description of language and producing a consistent methodology for studying language texts. To achieve that goal, the study adopted the analytical descriptive methods by reviewing Language Neural Programming literature to identify arguments by contemporary scholars regarding the representation system.

This study described components of the representation system in the Holy Koran that required a comparative study in the representation system analysis.

The conclusion from this study confirms in the Holy Koran an integrated system with a variable feature that systematically illustrates the representation system, linking with other items that extends to the psych, soul, and literally "power" that makes it very suitable to the human nature and complies with its constitution.

This system proves successful in providing a reading of the language text, primarily the novel text. In this context *Sorat Yousef* was very exemplifying since it was the practical part which demonstrated the methodology developed by the current study.

It is advised by this study to adopt the methodology when studying a novel, and to suggest new models exemplifying different language texts. It is recommended to comply with the suggested criteria in order to upgrade the discourse to a higher level and improve its ways of reception.